السنة الثالثة العدد ٣١ فبراير ٢٠٢٠

كلمة حق



الافتتاحية .. تنصيب الأنظمة العربية هو صفقة القرن الحقيقية
محمد إلهامي

أوراق أفغانية..التاريخ السري للحرب
في حرب مع الحقيقة (٢/٢)
ترجمة : حامد عبدالعظيم

"النازية الهندية" في عهد مودي (٢/٢)
ترجمة : أسامة خالد

فصول أفغانية من فن التجسس
أحمد الحمدان

وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد ٣١

فبراير ٢٠٢٠



klmtuhaq
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم



ترحب مجلة كلمة حق

باستقبال مقالات القراء ،

إذ تعمل هيئة التحرير على فرزها

ونشر المتميز منها في كل عدد جديد ،

يُرجى إرسال المقالات على البريد التالي

Klmtuhaq@gmail.com

كلمة حق

klmtuhaq   



الافتتاحية

تنصيب الأنظمة العربية هو صفقة القرن الحقيقية

محمد إلهامي

في نفس اليوم (٢٨ يناير ٢٠٢٠م) سقطت معرة النعمان بيد قوات نظام الأسد، وأعلن ترمب صفقة القرن واقفا إلى جوار نتنياهو، ونشر خريطة لقطع من الأرض المتمزقة والمتناثرة ومعها خمسين مليار دولار كحلٍّ للقضية الفلسطينية.

يمكن قول الكثير في كلا الأمريْن، وهو ما ستفيض فيه الأقلام لا ريب، لكن الذي يجب أن يلفت النظر في كلا الأمريْن هو الحرص الأجنبي على بقاء السلطة المحلية "الوطنية" في مشهد الصراع، فإذا كانت روسيا قادرة على هزيمة الثورة السورية بتفوقها العسكري الكاسح، وإذا كانت إسرائيل قادرة على احتلال الأراضي الفلسطينية، فلماذا يحرصان على بقاء سلطة الأسد ونظام محمود عباس؟!

إن فهم هذا الحرص قد يكون مفتاح الحل الرئيسي لقضايانا المتعددة، لقد وفَّرت هذه الأنظمة كل ما من شأنه أن يجعل احتلال بلادنا عملية سهلة سائغة قليلة التكاليف للأجنبي المحتل، ومن ثَمَّ فإن بقاءها صار ضرورةً لا يمكن الاستغناء عنها. فلا يمكن لإسرائيل أن تعيش بدون سلطة فلسطينية، ولا يمكن لروسيا أن تخوض حربها ضد الثورة السورية بدون نظام الأسد، ولا يمكن للأمريكان أن يسيطروا على أفغانستان بدون سلطة محلية.. وهكذا!

إسرائيل، أصلا، لم تنشأ إلا بمجهود الأنظمة العربية المحيطة في حمايتها ورعايتها، مهما جعجعوا أياما طويلة ضدها، ولم تكن إسرائيل يوما ما أشد رعبا من يومٍ بدا فيه أن أنظمة هذه الدول المحيطة بها تعاني من تهديد الثورات العربية. وكتب التاريخ مثل صفحات الواقع حافلة بالتفاصيل!

لقد تحولت بلادنا تحت هذه الأنظمة الحاكمة إلى سجون حقيقية، وهذه الأنظمة هي السجَّان، ولكننا نحن المسجونين ننفق الكثير جدا جدا جدا من الوقت والطاقة في الجدال حول ما إن كنا في سجن أم لا؟ وما كنا لننفق هذا كله لو تغير أمر واحدٌ فقط: لو كان المحتل أجنبيا صراحة!

لو كان المحتل أجنبيا كنا سنبصر في التو واللحظة أننا في سجن يديره الاحتلال وأنه يجب علينا أن نتحرر منه، أما حيث أن السجان يشبهنا، فقد صار كثرةٌ منا يدافعون عن السجن ويظنونه الوطن، وعن العبودية ويظنونها الوطنية، وعن القيود ويظنونها نظاما، وعن التعذيب ويظنونه عقوبة عادلة للمتمردين، وعن أباطرة التعذيب ويظنونهم حماة الوطن، ويهاجمون من يحاول التحرر ويظنونه إرهابيا، بل يهاجمون فكرة التحرر أصلا ويظنونها الفوضى!

●● السيطرة على وعي الإنسان يساوي السيطرة عليه والتحكم فيه! وهذا الوعي الزائف أقتلُ ما أصاب أمتنا وعرقل مجهوداتها نحو التحرر! وذلك أنه نقل قسما كبيرا من أبناء الأمة نفسها ليكونوا جنودا في جيش العدو الأجنبي، يوفرون عليه الدماء والأموال والمجهود!

> وإذا نظرنا في تاريخنا قبل أكثر من مائة عام وحسبنا عدد الذين قتلهم العدو وقارنَّاهم بمن قتلتهم الجيوش "الوطنية" وأجهزة الأمن لخرجنا بالنتيجة الفظيعة المرعبة التي تؤكد ما نقول! بل لو أتيح لنا أن نحسب عمليات المقاومة التي أجهضها العدو بنفسه، والعمليات التي أجهضها بفضل أجهزة الأمن "الوطنية" لخرجت لنا النتيجة الأكثر فظاعة وإرعابا!



إن السلطة الفلسطينية هي آخر من ينبغي أن يفكر في تركيب كاميرات مراقبة في شوارع الضفة الغربية، فإنها تعاني من فراغ كل مظاهر السلطة والسيادة، وينتشر فيها الفساد المالي والأخلاقي، ويُفترض أنها في مهمة تحرر وطني إذا صدَّقنا ما تعلنه، ولكنها مع ذلك تمتلك جهازا أمنيا مدربا تدريبا ممتازا، وتحرص على نشر الكاميرات في كل مناطق الضفة، لماذا؟ لأن مهمتها الحقيقية هي حماية إسرائيل، وإدارة شأن الفلسطينيين اليومي بما يرفع هذا العبء عن الإسرائيليين!

كذلك، تلقي روسيا حممها من طيرانها البعيد المرتفع، ولكنها لا تحصد شيئا على الأرض إلا من خلال قوات نظام الأسد الذين يهلكون في المعارك، ولا ثمن لهم عند أحد، فإذا وضعتَ نفسك مكان الروسي: فمن أين سيكون لك مئات آلاف الجنود على الأرض إن لم يكن نظام الأسد موجودا؟!

إن تاريخ هذه الأنظمة العربية في دعم إنشاء إسرائيل ورعايتها وتمكينها من الهيمنة تاريخٌ أسودُ ضخم، ولن يُعرف حق المعرفة إلا حين تزول هذه الأنظمة.. وفي هذا الشهر الماضي وحده بدأ تصدير الغاز الإسرائيلي لمصر!

تصدير الغاز الإسرائيلي لمصر هو مجرد حدث واحد في ملايين الأحداث التي مَكَّنَت بها الأنظمة لإسرائيل، وقد كنتُ سألت بعض الأصدقاء المهتمين بهذا الملف فأخبروني بعدد من المفاجآت ملخصها كالآتي:

" حقول الغاز الموجودة في البحر المتوسط تقع ضمن الحدود المصرية، لكن النظام المصري تنازل عنها لإسرائيل، غير أن المشكلة أن إسرائيل لا تمتلك بعض التقنيات الضرورية لبيع الغاز، فجرى الاتفاق على أن تبيع إسرائيل هذا الغاز لمصر، لكن مصر في هذا الوقت لا تحتاج لاستيراد الغاز لأنها تستخرج من حقولها ما يغطي هذه الحاجة، فقررت مصر خفض إنتاجها من الغاز لكي تفسح الطريق للغاز المستورد! "

وهكذا ترى كيف أن الأمة خسرت ثلاث مرات: خسرت الأموال الضخمة بالتنازل عن الغاز، ثم خسرت أكثر منها حين تشتريه مرة أخرى بأكثر من ثمنه، ثم خسرت بتعطيل إنتاجها من الغاز. وكسبت إسرائيل ثلاث مرات.. وهكذا تبرعنا بدمائنا لتمكين عدونا، فعلها طبيبٌ يبدو أنه منَّا، وفعلها وهو يقول أنها في مصلحتنا!!

ترى ما شعورك حين ترى طبيبا فقأ عين أبيك ليتبرع بها إنقاذا لعين قاتله، وأنت لا تدري، فتشكره وتمتنُّ له، وتحسب أنه فعله لصالحك!

وهذه قناة السويس الجديدة.. المشروع الأبرز الأضخم لحماية إسرائيل!

قد ذكرتُ في مقالات وبحث سابق أنه ما كان ممكنا أن تنشأ إسرائيل وتتمتع بالبقاء الآمن لولا الحماية التي وفرتها قناة السويس كمانع طبيعي يفصل بين سيناء وبين بقية أرض مصر، ويجعل التواصل بين أهل الوادي وأهل سيناء تحت المراقبة والتحكم، وقد اعترف قادة حرب أكتوبر بمن فيهم السادات أن قناة السويس هي أصعب مانع مائي حربي. ومع ذلك كانت سياسة النظام المصري منذ السادات وحتى السيسي زيادة التفريعات في قناة السويس، باستثناء مرسي رحمه الله الذي أراد أن يقيم حولها كثافة سكانية وتجارية تعيد اتصال سيناء بالوادي. فكانت

هذه التفريعات تحفر بالأموال المصرية لتزيد من صعوبة واتساع المانع المائي لقناة السويس، فلما جاء السيسي وصل بين هذه التفريعات بتفريعة هي الأكبر والأضخم، وبها صارت قناة السويس قناتيْن، وتحول المانع المائي إلى مانعيْن، يستحيل أن تتكرر فيهما قصة العبور التي كانت في حرب أكتوبر.



●● لكن الشاهد المقصود هنا أن هذا كله تم بأموال المصريين، وبحملة جعلتهم يقدمون أموالهم عن رضا وطواعية وانتظارا لمكسب عظيم يعود عليهم منها، واستهلك المشروع احتياط النقد الأجنبي، وأفضى إلى أزمة خانقة في الدولار وترتبت عليه آثار اقتصادية ضخمة.. وبهذا بنى المصريون بأموالهم ودفعوا من مجهودهم وعرقهم تكلفة بناء حماية جديدة لإسرائيل. ما كانت إسرائيل لتحلم بشيء من هذا، فانظر كيف صار الحلم حقيقة عبر النظام الخائن العميل.

إن مواجهة صفقة القرن لن تكون في بيت المقدس، بل هي على الحقيقة في القاهرة ودمشق وبغداد والحجاز، وعبر التاريخ كان فتح بيت المقدس بعد فتح جزيرة العرب والعراق والشام، ولم يصل صلاح الدين إلى بيت المقدس إلا بعد أن تحررت دمشق والقاهرة والحجاز، ثم لم يحتل الإنجليز بيت المقدس إلا بعد أن كانت القاهرة ودمشق وبلاد العرب تحت الاحتلال، ولم تُغرس إسرائيل إلا بعد تنصيب هذه الأنظمة!.. هذه سيرة التاريخ وهي أصدق من كل التحليلات السياسية الخائبة التي تتصور أنه يمكن عقد الأمل على نظام من هذه الأنظمة!

يقولون كيف؟!

نعم إن المهمة ثقيلة، ولكننا لسنا أول أمة تقع تحت الاحتلال والاستبداد، ولسنا أول أمة تعاني من حكم الخونة، ومن ثَمَّ فلسنا أول أمة تفكر في المقاومة وهي في موقع الاستضعاف!

فأول بند في إجابة سؤال كيف: أن نؤمن أن الهزيمة ليست قدرا، وأن النصر ليس مستحيلا، وأن المقاومة واجبة علينا مهما اختلت موازين القوى!

وثاني بند: أن نعلم ما نملكه من الموارد، فنحن بحمد الله نمتلك أصلب عقيدة لا تزال تحير عدونا لشدة ثباتها وأصالتها وعمقها في النفوس وتجددها عبر الأجيال، ثم إننا نملك طاقة من البسالة الهادرة التي أفصحت ثورات الربيع العربي وساحات الكفاح عن جانب منها، ولا تزال تفصح وتكشف!

ثالث بند: أن نعلم مواضع ضعفنا ومن أين نؤتى.. وإن لدينا ضعفا خطيرا في مسألة القيادة ذات الكفاءة التي تستطيع أن تجمع بين فهم الدين وفهم الواقع، بين السياسة والقتال، بين الحلم والحزم. ولدينا ضعفا خطيرا في الجانب الأمني والمعلومات وهو ما يجعلنا على ضعفنا كالملاكم الذي لا يعرف أين يضرب ومتى؟ وهذا الضعف يجعل صفوف الفاعلين غير مؤمنة ضد الاختراقات الأمنية حتى وصل إلى قيادة حركات إسلامية فعالة من هم عملاء لأجهزة الأمن والمخابرات، فكانت ضرباتهم من الداخل أقسى وأقتل من كل ضربات العدو في الخارج. ثم إن لدينا ضعفا خطيرا في جانب المبتكرين والمبدعين، أولئك الذين يستطيعون بفكرة وبشيء من الإمكانيات أن يضيقوا فارق الفجوة العلمية الرهيبة التي تقتلنا قتلا وتحصدنا حصدا؛ فما أشد حاجة أمتنا إلى فكرة تعطل تفوق الطيران فقط، لو امتلكنا هذا لاختلفت نتائج المعارك اختلافا حاسما.

ومع هذا فإنه لا مجال للوصول إلى الحل ومعالجة نقاط الضعف إلا بمواصلة العمل والكفاح، ففي ساحاته ينبت القادة وتظهر الكفاءات، ولأجل ضروراته تنشأ المحاذير الأمنية وتلح الحاجة إلى المعلومات، وتحت وطأته تخرج الأفكار والإبداعات! والحمد لله الذي تعبدنا ببذل المجهود ولم يحاسبنا على بلوغ الغايات.



قد خرج سلمان الفارسي من بيته في فارس وراء معلومة سمعها يوما، فظل ينتقل من فارس إلى العراق إلى الأناضول إلى الحجاز حتى بلغ غايته فلقي النبي، ثم لقي معه الكرامة الكبرى "سلمان منا آل البيت"، ثم رافق النبي حتى كان على يديه نجاة دولة الإسلام بفكرة "الخندق" في أخطر لحظة تهديد للدولة الإسلامية، ثم واصل الجهاد حتى دخل أرض فارس فاتحا وهي التي خرج منها خائفا يترقب. نعم النموذج في الهمة، ونعم النموذج في الصبر والدأب والسعي وراء الحق حتى يدركه.. وما أحوجنا إلى ذلك..

لا يعرف المسلم اليأس.. ولا مشيئة فوق مشيئة الله.. وكم من اتفاقيات أبرمها الساسة الطغاة سحقتها أقدام المستضعفين النحيفة الدامية! ومن كان يدري أن أبا جهل هشام بن عمرو بن المغيرة المخزومي سيد بني مخزوم في قريش تكون نهايته تحت قدم ابن أم عبد، راعي الغنم نحيف الساقين، من كان لا يجرؤ قبل الإسلام أن يرفع عينه في مثل أبي جهل؟!

ثم من كان يدري أن يتعثر الأمريكان، أضخم قوة في الأرض، في أفغانستان التي تبدو متهالكة ضعيفة فقيرة تنهبها المجاعة؟ أو في العراق المنهكة بعد ثلاثين سنة من الحروب ونحو خمسة عشر عاما من الحصار وبعد نصف قرن من الطغيان الذي أهلكها؟!

- في التاريخ عبر كثيرة كثيرة كثيرة.. وما أحوج المهزوم المستضعف إلى أن يتعلم.



صفقة القرن..

لماذا يستأسد ترمب على الفلسطينيين ويركع أمام الأفغان؟!

أحمد قنيطة

بعد تأجيلٍ وتأخيرٍ متكررٍ ومقصود سعياً لتهيئة الأجواء المناسبة لقبولها شعبياً على المستويين العربي والإسلامي؛ ومع تسارع حملات الدعاية الإعلامية لتدجين العقول وتخدير المشاعر، وتغييب المبادئ وترويج التطبيع، وتمرير ثقافة الانبطاح والتعايش مع المحتل، أخيراً؛ أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترمب عن صفقته المشؤومة!

تلك الصفقة التي تقوم على أساس إقامة دولتين فلسطينية و"إسرائيلية"، وأن تكون القدس المحتلة عاصمة موحدة لـ"إسرائيل"، بالإضافة إلى اعتراف الولايات المتحدة بالمستوطنات كجزء من "إسرائيل".

أما المقدّسات الإسلامية فتقوم **"صفقة ترمب"** على أساس أن "إسرائيل" ستعمل بشكل وثيق مع العاهل الأردني، الملك عبد الله الثاني، الذي وصفه ترمب بـ"الرجل الممتاز"، على ضمان الحفاظ على صفة الحرم الشريف، وتعهد بأن تُتخذ "إجراءات صارمة" ليكون بإمكان المسلمين زيارة هذا المكان المقدس بصورة "سلمية"!

كل تلك الاعترافات والأُمنيات "الأمريكية - الإسرائيلية" التي لا نشك أنها ستتحطم على صخرة صمود الشعب الفلسطيني، جاءت مقابل منح الفلسطينيين دولة مشوّهة مشتتة منزوعة السلاح والقرار والإرادة، تمزّقها المستوطنات والبلدات المحتلة في القدس والضفة.

والأهم مما سبق للفلسطينيين - بزعم "التاجر" ترمب- هو الشق الاقتصادي من الصفقة وهو منح الفلسطينيين **٥٠** مليار دولار لاستثمارها في دولتهم الموعودة، للقضاء على الفقر والبطالة والاستغناء عن الدعم الدولي والمساعدات الخارجية، إن هم قبلوا ببيع قدسهم وأقصاهم وقضيتهم وتضحيات أجدادهم، بعد الالتزام بنبذ العنف "الجهاد والمقاومة" وتفكيك التشكيلات العسكرية وتسليم سلاح الفصائل في غزة.

"صفقة ترمب" لم تبـدأ فصولها منذ تولّـى هذا الأرعن مقاليـد الحكم في "البيت الأسود"؛ بل هي نتاج زواج عُرفي "غير شرعي" بعيداً عن رغبة وقرار أولياء الدم وأصحاب القضية، بين سلطة عميلة حقيرة وعدو مجرم مغتصب، فقد بدأت فصول صفقة العار يوم أن وقّعت الأيادي الآثمة اتفاقية أوسلو المشؤومة عام **١٩٩٣م**، والتي جعلت من قضيتنا المقدّسة سلعة للبيع والشراء والمقايضة في سوق النخاسة، هذه الخطّة التي تُنفّذ على الأرض منذ عقود ليست وليدة السنوات الأخيرة، وما يحدث اليوم هو أشبه بالحفل الختامي والإعلان الرسمي لمحاولة إضفاء الشرعية على ذاك الزواج "غير الشرعي" الذي أنجب لنا طفلاً مشوهاً، أطلقوا عليه زوراً اسم "المشروع الوطني" و"الدولة الفلسطينية" منزوعة السيادة والإرادة.

الفصائل الفلسطينية التي سجّلت نجاحاتٍ كبيرة "تكتيكياً" على صعيد العمليات العسكرية والاستخباراتية والنفسية، وأظهرت عجز العدو في معركة العقول وصراع الأدمغة أمام ذكاء ودهاء رجال المقاومة؛ فشلت فشلاً ذريعاً في السنوات الأخيرة باعتماد استراتيجية وطنية شاملة للتصدّي "عسكرياً" لحملات وعروض البيع والشراء التي جاء بها ترمب وتنتنياهو على أنقاض دولتنا وقضيتنا بإعلان تلك الصفقة المخزية، والتي لا يمكن تمريرها وتمرير حملات التطبيع العربية الرسمية إلا في ظل حالة من الهدوء والاستقرار في الأراضي المحتلة، وإنما اعتمدت - الفصائل الفلسطينية - فقط على الجهود السياسية الضعيفة بسبب الحصار والمقاطعة، والفعاليات الجماهيرية والإعلامية التي تؤتي أكلها في حينها فقط، ثم ما تلبث أن تتلاشى وتتراجع كما شهدنا مؤخراً في مسيرات العودة وكسر الحصار وجولات التصعيد "المحدودة" على أهميتها.



الوحل الأفغاني

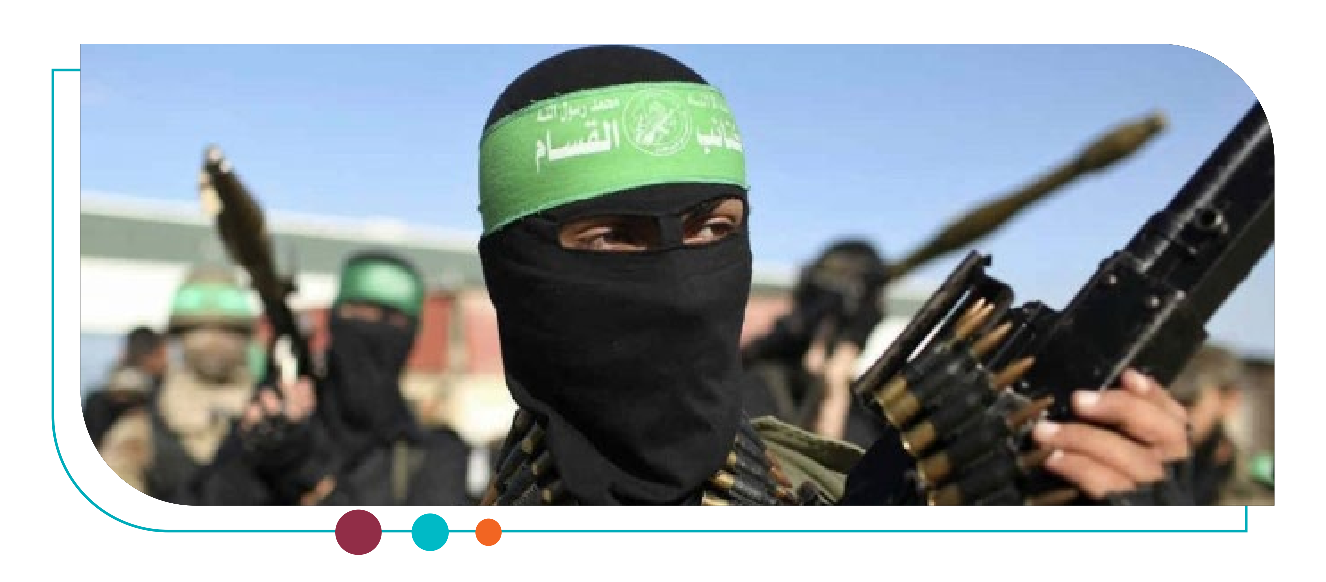
الولايات المتحدة بقيادة المجرم ترمب الذي ينظر إلى القضية الفلسطينية على أنها صفقة تجارية، ويستأسد على الفلسطينيين ويلقي إليهم فتات

أرباحها بكل كبرٍ وعنجهية، هي نفسها الولايات المتحدة التي تغرق في وحل أفغانستان، وتسعى للهروب من جحيمها، تحت ضربات المقاومة الأفغانية الباسلة التي تسحق جنوده المحتلين منذ ١٩ عام من الاحتلال الأمريكي دون توقف أو مهادنة.

فطالبان هُزمت وخسرت كل أفغانستان عام ٢٠٠١م، ولم يكن بيدها أي قوة أو إمكانيات عسكرية تعتمد عليها سوى الأسلحة الفردية الخفيفة، لكن منذ ذلك الحين إلى اليوم أخذت على عاتقها قتال الأمريكان دون توقفٍ بلا هوادة، إلا "الهُدن" التي تعلنها طالبان "من طرف واحد" في الأعياد والمناسبات الإسلامية، لإتاحة المجال للشعب الأفغاني لقضاء أعياده في ظل أجواء من الهدوء والاستقرار، بعيداً عن أزيز الرصاص وهدير المدافع، وهي تقاتل حتى هذا اليوم بكل عنفوانٍ وإصرار، بل وتزيد من مستوى عملياتها أثناء "محادثات السلام" والمفاوضات مع الأمريكان، التي انسحب الأمريكان منها عدة مرات احتجاجاً على عمليات طالبان، لكن سرعان ما عادت صاغرة للمفاوضات أملاً في الخروج الآمن لقواتها المنهزمة وحفظ ما تبقى من ماء وجهها.

مباشرة سيتدخل البعض هنا ويقولون بأن ظروف وإمكانيات وواقع طالبان تختلف عن ظروفنا وإمكانياتنا وواقعنا في فلسطين وغزة، فالحدود طويلة وممتدة، والدعم الباكستاني "استخباراتي عسكري"، والدعم الإيراني "سياسي وتبادل تجاري"، والدعم الروسي "سياسي" يجعل من طالبان قوة لا يُستهان بها أمام جيش الاحتلال الأمريكي، نعم هو كذلك؛ لكنّ طالبان لم تصل لهذا المستوى إلا حينما فرضت نفسها وبقوة على جميع اللاعبين الدوليين والإقليميين في أفغانستان، وثبّتت أقدامها في أرضها حتى باتت تسيطر على أكثر من ثلثي أفغانستان، باعتماد استراتيجية ناجحة تقوم على "حرب الاستنزاف" ومعارك الكر والفر التي أرهقت أقوى وأعظم جيوش العالم؛ حين كانوا حفاة عراة مطاردون في الفيافي والكهوف والجبال!

القضية قضية مبدأ واستراتيجية اعتمدنا عليها في فلسطين وأثبتت نجاعتها في مراحل مختلفة في صراعنا مع المحتل، وأفشلت الكثير من المؤامرات، وهو ما عملت عليه طالبان وانتهجته وما زالت على عهده، قتالٌ بلا هوادة بعيداً عن الهدن والتهدئات التي قد نحتاجها في ظروف معيّنة؛ لكن دون أن تطغى على خيار الجهاد والكفاح المسلح، فالمخططات والصفقات الأمريكية لا يفسدها سوى أسقف الباصات الطائرة، أو الصواريخ العابرة لأراضينا المحتلة، تماماً كما أسقطت المقاومة الفلسطينية اتفاقيات ومعاهدات "واي ريفر1" "واي ريفر2" "كامب ديفيد" "طابا" "أنابوليس" "خارطة الطريق" وغيرها؛ بالمفخخات والصواريخ والاستشهاديين وعمليات إطلاق النار التي استنزفت قدرات وطاقات الاحتلال "الإسرائيلي" وأشغلته بالبحث عن مخرج للأزمات الأمنية والعسكرية، وهذا ما نحتاجه اليوم بالتحديد كي لا يلتقط العدو أنفاسه لتحقيق إنجازات سياسية ودبلوماسية، نعم قد تختلف الأدوات والوسائل للمقاومة حسب طبيعة الأرض والإمكانات والقدرات، لكن تبقى الفكرة واحدة أن المخططات الخبيثة للأعداء لا يسقطها إلا أصحاب الأقدام الثقيلة والأيادي المتوضئة.



سيقول أحدهم: ماذا تريد؟؟ الحرب والدمار؟؟! وماذا جلبت لنا الحروب الأخيرة؟؟!

أقول: في هذا التوقيت لا، وأقرُّ بأن أهل الجهاد هم أدرى بشعابه، وهم الأقدر على اختيار وسائله واستراتيجياته؛ وإن كنّا نحن أهل فلسطين أهلٌ للحروب

والمعارك، ولا نخشى مواجهة العدو الذي قاتلناه بأسناننا وأظافرنا حين عزّ السلاح، لكنّ "الحرب الشاملة الخاطفة" ليست الاستراتيجية الوحيدة لمقاومة العدو ومجابهة مؤامراته ومكائده، بل هناك أساليب واستراتيجيات مختلفة من شأنها إيلام العدو وكسر جبروته ودفعه للرضوخ لمطالب وشروط المقاومة، وأهمها "حرب الاستنزاف طويلة الأمد" وهذا الأسلوب هو ما اعتمدته حركة طالبان في قتالها ومقاومتها للاحتلال الأمريكي، الذي يوشك أن ينسحب تحت ضربات المقاومة الأفغانية التي أذلت عظمته ومزّقت كبرياءه، وتعتمد هذه الاستراتيجية على استنزاف العدو مادياً وبشرياً ونفسياً، وبالتالي تحطيم إرادته للقتال وكسر الروح المعنوية لجنوده وحاضنته، وإيصاله لحالة من اليأس يدرك معها أن بقاءه في البلد المحتل أمراً مكلفاً للغاية، وبالتالي قبوله الشروط السياسية للمقاومة.



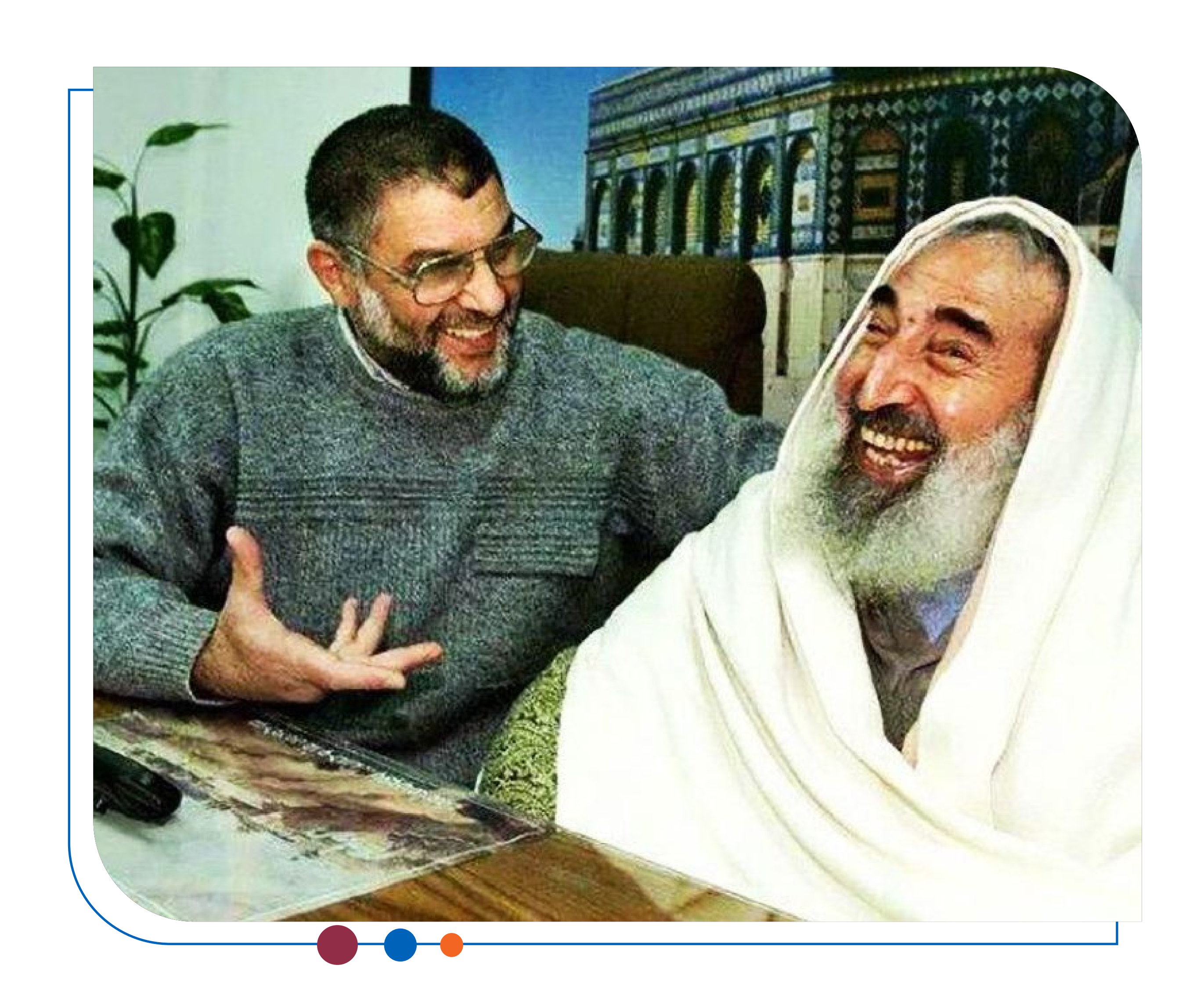
أنا لا أطلب الحرب، ولا أجزم أنها الحل السحري للخروج من عنق الزجاجة وعمق الأزمة، وقد تكون هي الحل بالمناسبة بعد تمام الثقة بالله والأخذ بأسباب النصر، بل ما أطلبه محاولة الاستفادة من الآخرين ودرس تجاربهم، لإيجاد استراتيجية وطنية جامعة تُخرج شعبنا من مكابدة الذل والحصار والفقر والبطالة والفراغ القاتل؛ بينما يتمتع عدونا بالأمن والاستقرار، ويجتهد - في ظل الهدوء- سعياً لإيجاد الحلول الدفاعية العسكرية والتقنية لقدرات المقاومة من جهة؛ ويُسارع في تنفيذ مخططاته وتوسيع نفوذه وتحقيق الإنجازات السياسية في المنطقة العربية بتطبيعه مع الحكومات الوظيفية من جهة أخرى.

ما أريده إيصاله هو ضرورة العمل بكل طاقاتنا على الخروج من هذا السجن الكبير (حرب أو هدنة) الذي قبلنا أن نسجن أنفسنا وشعبنا فيه، بينما ننظر إلى العدو عاجزين وهو ينفّذ مخططاته القذرة أمام أعيننا دون أن نحرك ساكناً، يقول الشيخ صلاح شحادة القائد العام لكتائب القسام تقبله الله: "يجب أن نرتقي إلى المحاربة بالدماء، وسنواصل المقاومة مهما كلفَتْنا، وإن فقدنا السلاح فسنقاتلهم بأيدينا، علينا أن ندرك أن الشعوب المضلَّة لا تستيقظ إلا بدفع الضريبة من دماء المسلمين".



والأهم من ذلك كله هو الخطورة التي تكمن في تغييب ثقافة جيلٍ كامل تربّى -بالدموع والدماء- على أن المؤامرات لا يفشلها إلا المفخخات، وأن المقاومة وحدها هي الكفيلة بنسف مخططات الأعداء وأذنابهم، واستبدالها بثقافاتٍ واتجاهات دخيلة على مبادئنا وثقافتنا الجهادية، تقبل القعود وترضى الدنيّة، قدّم قادتنا ومجاهدونا الدماء والأشلاء في سبيل تبديلها وتغييرها نحو تبنّي فكر الجهاد والمقاومة، فلقد بتنا نسمع اليوم الكثير من الآراء والاتجاهات التي تنتظر تغيراً إقليمياً يناصر حقنا في المقاومة، ويكون ظهيراً سياسياً يُعتمد عليه لقطف ثمار جهادنا ومقاومتنا وتضحيات شعبنا، وأن الحرب لن تجدي نفعاً، أو أننا لن نصل لأفضل مما وصلنا إليه سابقاً؛ وهنا تماماً تكمن الخطورة، وهكذا تُطمس المبادئ وتُسحق الثوابت وتُغير الاتجاهات!

رأيي المتواضع أن على القوى والفصائل المجاهدة أن تعمل على تغيير قواعد اللعبة التي يرتضيها ويقبلها نتنياهو ويسعى للمحافظة عليها، كيف؟؟ وأين؟؟ وماذا؟؟ هذه أسئلة يعرف إجاباتها أهل الجهاد وقادة المقاومة الذين نثق بهم وبصدق توجهاتهم واجتهاداتهم، لكن الثابت الوحيد هو أن هذا الحال الذي نعيش لا يسر صديقاً ولا يُرغم عدواً، بالعكس هو وصفة سحرية للعدو لتمرير مخططاته وتحقيق أهدافه!



ورحم الله **الدكتور عبد العزيز الرنتيسي** إذ قال: "قذيفة واحدة من حديد، خير من ألف ألف قذيفة من كلام". والسلام.

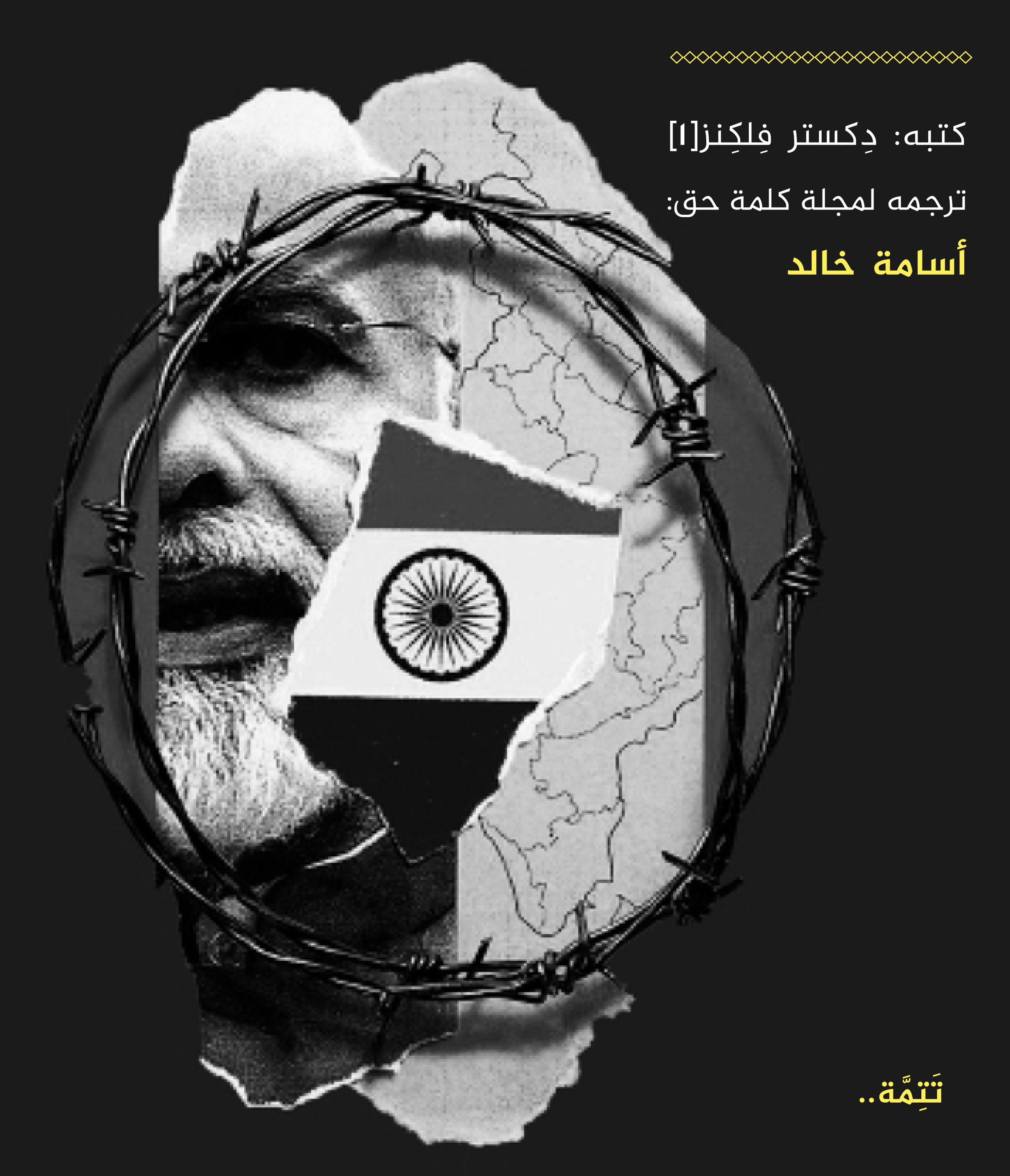
"النازية الهندية" في عهد مودي (٢/٢)

٢٠٠ مليون مسلم تتخذهم الحكومة الهندوسية أعداءً

كتبه: دِكستر فِلكِنز[١]

ترجمه لمجلة كلمة حق:

أسامة خالد



تَتِمَّة..

أخذت رنا أيوب ما توصلت إليه من نتائج عائدةً إلى محرريها. ولكن بعد مراجعة النصوص، قرر المحرر تارون تيجبال عدم نشر التقرير. كانت المحادثات المسجلة في الغالب لمسؤولين يَذكُرون تورط مسؤولين آخرين غالباً ما كانا مودي وآمِت شاه.

(١) رابط المقال المترجَم، موقع نيويوركر.

لقراءة الجزء الأول من الترجمة، ينظر: مجلة كلمة حق، عدد ٣٠، ص١١.

أخبرني تارون تيجبال أن ما أراده هو أن يعترف أشخاصٌ بجرائمهم. قال لي: "التقاليد الأساسية لعملية الاستدراج هي أنه لا يكون جيداً إن لم يتهم الشخص نفسه. إن قُلت لي: 'لقد أجريتُ محادثة مع شخص ما، وأخبَرَني أن توم، ودِكْ، وهاري كذا وكذا، وأن ذاك الشخص موقنٌ أن توم يأخذ أموالاً من فلان، وأن هاري فَعَلَ كذا وكذا مع فلان، فإن هذا لا يعني شيئاً. إنها مجرد ثرثرة رخيصة' ".

كانت رنا أيوب مقتنعةً بأن تارون تيجبال قد رضخ لضغوط من حزب B.J.P. قالت لي: "لقد رضخ، كنتُ داخل الحلقة المقرَّبة لمودي وآمِت شاه.. أقرب ما يمكن." لكن تارون تيجبال أنكر هذا، ووقف محررون آخرون إلى جانبه.

ولأن رنا أيوب كانت عازمة على نشر القصة كتبت مسودة كتاب ووزعته على دور النشر والصحف والمجلات الإنجليزية. كلهم رفضوا عرضها. قال البعض إن الكتاب كان متحيزاً جداً وقال معظمهم إن طُرُق الحصول على المعلومات يمكن أن تعرِّضهم لدعاوى قضائية. أخبرني عددٌ من المحررين سرًّا بأنهم يعتقدون أن عمل رنا أيوب كان فاضحاً، لكن كان من المستحيل نشره. أخبرني كريشنا براساد - الذي كان آنذاك رئيس تحرير مجلة "Outlook": "أردنا أن نقتطف من الكتاب لغلاف مجلتنا، لكن انتشر الخبر وبدأت المكالمات الهاتفية. ببساطة لم نتمكن من القيام بذلك."

بحلول عام ٢٠١٢، أصبح مودي القائد الأكثر شهرة في الهند من حزب B.J.P، وكان يبدو من المرجح أن يترشح لرئاسة الوزراء. قالت رنا أيوب: "رأى الجميع النذير بالخطر القادم. كان مودي سيفوز، ولم يرغب أحد في إبعاده".

استمرت رنا أيوب محاوِلةً العثور على ناشر، لكن لم يُنشَر شيء. أخبرتني أنها أصيبت بحالة ذعر شديد، واعتمدت على مضادات الاكتئاب للسنوات الأربع التالية. في عام ٢٠١٣، اتُّهِم تارون تيجبال - محرر تيهيلكا - باعتداءٍ جنسي وقضى سبعة أشهر في السجن قبل إطلاق سراحه بكفالة. (يصرُّ على براءته، والقضية ما تزال جارية). انهارت المجلة بالكامل. قالت رنا: "اعتقدت أنها كانت النهاية".

عندما بدأ مودي ترشحه لمنصب رئيس الوزراء في خريف عام **٢٠١٣**، لم يروِّج لنفسه كقائد قومي صليبي بل كرجل إدارة خبير وصاحب رؤيةٍ كان قد ترأس ازدهاراً اقتصادياً في غوجارات. كان شعار حملته: "الأيام الجميلة قادمة". أظهرت نظرة فاحصة إلى البيانات أن اقتصاد ولاية غوجارات لم ينمُ تحت إدارته بوتيرة أسرع مقارنة بمن سبقه - كان النمو المتسارع "حكاية منسوجة بشكل خيالي" كما قال براساد - المحرر السابق. ومع ذلك، فإن العديد من الشركات الكبرى في الهند أغرقت حملته بالتبرعات.

كان مما ساعد مودي التصور الذي انتشر بشكل كاسح لدى العامَّة بأن حزب الكونغرس، الذي كان في السلطة طوال نصف القرن الماضي، قد أصبح متعجرفاً وفاسداً. كان تقاعسهم متجسداً بعائلة غاندي التي سيطر أعضاؤها على الحزب ولكنهم بدَوا خجولين وبعيدين عن الناس. راهول غاندي - رئيس الحزب (وحفيد نهرو) - أطلق عليه الإعلام الهندي لقب "الأمير المتردد".



وفي المقابل كان مودي وفريقه منضبطين وذوي تركيز واستجابة. قال لي معلق سياسي هندي قابل جماعة راهول غاندي ومودي: "جماعة راهول غاندي يجعلون رؤساء الوزارات - الذين سافروا عبر البلاد لرؤيتهم ينتظرونهم لأيام. إنهم لم يكترثوا لهم". أما جماعة مودي، فقد كانوا يُدخلونهم مباشرة". في

حين أن قادة الكونغرس كانوا يتصرفون غالباً كما لو أن من حقهم أن يَحكُموا، فقد قدَّم قادة حزب B.J.P أنفسهم على أنهم نُسَّاكٌ وأصحاب التزام وليسوا عرضة للفساد. مودي الذي يُقال إنه يمارس عدة ساعات من اليوغا كل يوم كان يرتدي عادةً ثياباً بسيطة، وكان أفراد عائلته يعملون في وظائف متواضعة وكانوا غائبين بشكل واضح عن المناصب الحكومية العليا. ومهما كانت الادعاءات الأخرى التي أحاطت به، فلا يمكن اتهامه بالجشع.

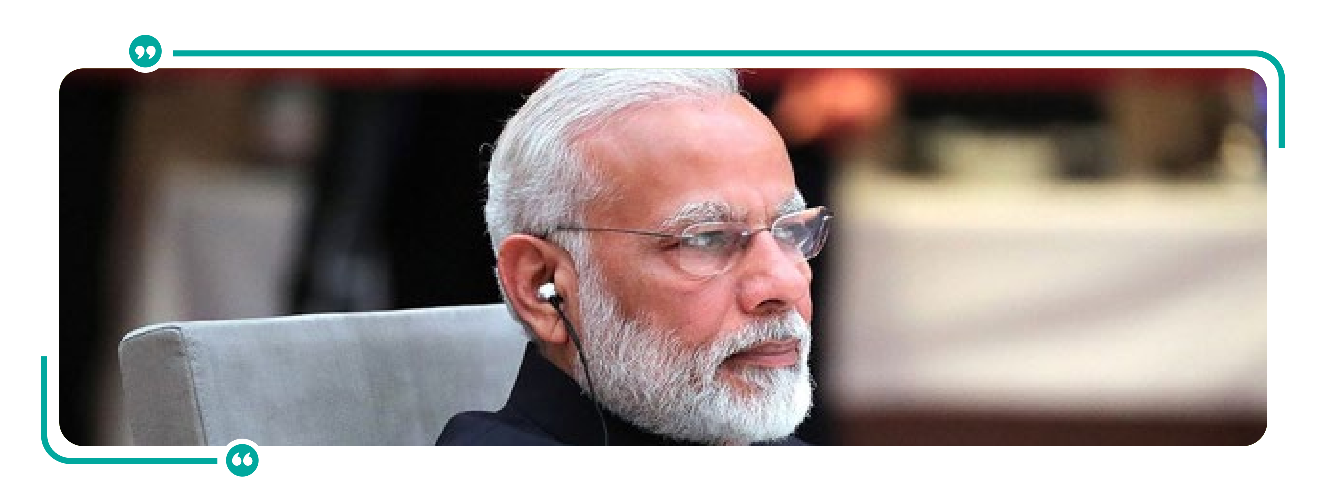
فاز حزب B.J.P بالنسبة الأكبر من مجموع الأصوات، ووُضع مودي على رأس الائتلاف الحاكم. فاجأ الكثير من الهنود بحكم موقعه كرئيس للوزراء عندما تحدى الناس أن يواجهوا المشاكل التي لم تُعالَج. إحداها كانت التغوط في الأماكن العامة، وهو سبب رئيسي للمرض في جميع أنحاء الهند. أعلن في خطاب مبكر ألقاه في دلهي عن برنامج على مستوى البلاد لبناء مراحيض عامة في كل مدرسة، وهو تحسن أرضى به الكثير من الهنود. كما عالج مودي سلسلة من عمليات الاغتصاب الجماعي التي كانت منتشرة بكثرة متحدثاً بلغة حديثة قائلاً: "الآباء يسألون بناتهم مئات الأسئلة، لكن هل تجرَّأ أيٌّ منهم أن يسأل أبنائه إلى أين يذهبون؟"

هذا الخطاب رسم المسار العام لمودي في رئاسة الوزراء، أو على الأقل في جزء منها. عندما كان شاباً، نَذَرَ أن يبقى عازباً، ولم يبدِ أي إشارة علنية إلى أنه أخَلَّ بهذا النذر. ولعدم وجود أعباء عائلية، كان يعمل باستمرار. قال لي المعلق السياسي الهندي: "عندما يكون لديك هذا النوع من القوة، هذا النوع من الشغف، فأنت لست بحاجة إلى الرومانسية". ركز مودي في غوجارات على مشاريع كبيرة، واكتساب ودِّ صانعي السيارات وإيصال الكهرباء إلى القرى. وكرئيس للوزراء.. أحدث إصلاحاً شاملاً لقوانين الإفلاس وبدأ بحملة لبناء الطرق بمليارات الدولارات.

نجحت جهود مودي لتغيير صورته في الغرب أيضاً. رحَّب كُتَّاب الأعمدة في الصحف في الولايات المتحدة بتشديده على مسألة الأسواق والكفاءة. بالإضافة إلى ذلك، زار مودي شبكة واسعة من الأمريكيين من أصل هندي ممن رحبوا

بنجاحه في جلبه للهند إلى الساحة العالمية. أسقطت إدارة أوباما بهدوء حظر التأشيرة المفروض عليه. عندما التقى مودي بأوباما - ولم يكن قد مضى وقت طويل على توليه منصبه وقتها - زار الاثنان النصب التذكاري لمارتن لوثر كينغ جونيور، وهو رجل قال مودي إنه معجب به. كان مودي أثناء إقامته في اجتماع عشاء مع أوباما، لكنه وضع طهاة البيت الأبيض في معضلة: لقد كان صائماً لـ 'نافاراتري'، وهو مهرجان هندوسي.. شرب مودي الماء فقط في الاجتماع.

أخبرني المعلق السياسي الهندي، الذي التقى بمودي خلال فترة ولايته الأولى، أنه شخصياً كان حادًّاً ومحباً للاستطلاع إلا أنه لم يكن مضطرباً؛ كان يمزح بشأن القرود التي كانت تفسد حديقته، وناقش بسعادة خفايا المشاريع التي كانت تشغل اهمامه. أهمها المياه: كانت المياه الجوفية في الهند تتدهور بسرعة (انخفضت بنسبة واحد وستين في المائة خلال العقد الماضي)، وكان مودي يحاول الاستعداد لمستقبل يمكن أن تتعرض البلاد فيه للجفاف. عرض أيضاً خلال الاجتماع قائمة مفصلة من الدول التي كانت في حاجة إلى مختلف المتخصصين - المحامين والمهندسين والأطباء - من النوع الذي يمكن أن توفره الهند، نظراً لضخامة عدد الخريجين فيها. قال المعلق: "إنه ذكي، شديد التركيز.. ومتشدد بعض الشيء."



بعد تولي مودي للسلطة بفترة ليست بطويلة خمدت قضية شوراب الدين شيخ التي تورط فيها صديقه القديم آمِت شاه. بحلول عام **٢٠١٤**، كان آمِت شاه قد توقف أساساً عن حضور جلسات الاستماع. عندما أمر القاضي آمِت شاه بالحضور، أُبعِد عن القضية في تحدٍ للمحكمة العليا.

كما اشتكى القاضي الجديد بريجوبال لويا من عدم حضور آمِت شاه للمثول أمام المحكمة. وقال لعائلته وأصدقائه إنه يتعرض "لضغوط كبيرة" لكي يرفض الدعوى، وقال لهم إن رئيس المحكمة العليا في بومباي قد عرض عليه ستة عشر مليون دولار لإفشال القضية. (لم يتسن الوصول إلى رئيس المحكمة العليا للحصول منه على تعليق). مات بريجوبال لويا بعد فترة ليست بطويلة في ظروف غامضة. قال تقرير الطبيب الشرعي إنه تعرض لنوبة قلبية، لكن بحسب 'كارافان' وهي مجلة إخبارية هندية رائدة.. التفاصيل الواردة في التقرير كان يبدو أنها قد زُوِّرت. الترتيبات اللازمة لإعادة جثمان بريجوبال لويا لم يقم بها مسؤولون حكوميون بل قام بها أحد أعضاء منظمة R.S.S. وصل جثمانه مضمَّخاً بالدم. طلبت عائلة بريجوبال لويا إجراء تحقيق رسمي في سبب وفاته لكنها لم تُحصل على ذلك.

أُحيلت قضية آمِت شاه إلى قاضٍ ثالث وهو إم بي غوسافي الذي أسقط جميع التهم بعد أقل من شهر قائلاً إنه لم يجد "سبباً كافياً للاستمرار" بالقضية. ولم تثمر الجهود اللاحقة لمحاسبة أي شخص على وفاة شوراب الدين شيخ. ومع اقتراب محاكمة المتهمين الباقين، انقلب اثنان وتسعون شاهداً على الادعاء، وقال بعضهم إنهم يخشون على حياتهم.. وأُسقِطت التهم عن المتهمين. أُبعِد راجنيش راي - وهو الضابط المكلف بالتحقيق في قضية آمِت شاه - عن القضية. وعندما تقدم بطلب للتقاعد المبكر.. عُلِّق عمله.

●● في الوقت الذي أُسقِطت فيه التهم، كان مودي قد نصب آمِت شاه رئيساً لحزب B.J.P ورئيساً للائتلاف الحاكم مما يجعله فعلياً ثاني أقوى رجل في البلاد.

في عام **٢٠١٦**، قررت رنا بعد أربع سنوات من محاولة العثور على ناشر لكتابها أن تنشره بنفسها. كانت لدى رنا أيوب نوع من الحماية بحكم أن كتابها كان باللغة الإنجليزية وسيقرؤه فقط من هم من النخبة الهندية، وهم مجموعة صغيرة جداً لا يهتم بها حزب B.J.P. في شهر مايو عُرِضَ الكتاب للبيع على

أمازون وفي المكتبات في جميع أنحاء البلاد. سمَّت رنا كتابها: "ملفات غوجارات: تشريح الحقائق المخفية". "Gujarat Files: Anatomy of a Cover Up".



يروي كتاب "ملفات غوجارات" أهم المناقشات التي دارت بين رنا أيوب وكبار المسؤولين أثناء محاولتها معرفة ما حدث خلال فترة رئاسة مودي وآمِت شاه للولاية. ليس كتابها عملاً مصقولاً، بل يشبه كتيباً للمطلعين السياسيين أسرَعَ بنشره شخصُ لا وقت لديه للتحقق من علامات الترقيم أو توضيح الاختصارات أو الخوض في الخلفية التاريخية للقضايا التي نوقشت. قالت لي رنا أيوب: "لم يكن لدي الموارد الكافية للتفكير في كل ذلك. أردت فقط أن أنشر القصة". وتتمثل ميزة الكتاب في أن قارئه يشعر أنه يحضر حفلة كوكتيل لقوميين هندوس، يتحدث بصراحة عن الأسرار التي أُخفيت لفترة طويلة. قالت رنا أيوب: "الأمر وما فيه أن الجميع سمع الحقيقة، لكن ليسوا متأكدين. في كتابي يمكنك سماعها من مصدرها".

كان آشوك نارايان من بين أولئك الذين "استدرجَتهم" رنا أيوب، وكان يشغل منصب وزير الداخلية في غوجارات أثناء أعمال الشغب. وفقاً لرنا أيوب، قال آشوك نارايان إن مودي قرر السماح للقوميين الهندوس بالسير في موكب بجثث ضحايا هجوم القطار. قال آشوك نارايان إنه حذَّر مودي من أن "الأمور سوف تخرج عن السيطرة" ولكن دون جدوى. وعندما قاوم.. التفَّ مودي من ورائه. وقال أيضاً: "إن إحضار الجثث إلى أحمد أباد أشعل الأمر برمته، لكنه [مودي] هو الشخص الذي اتخذ القرار".

أضاف آشوك نارايان أن V.H.P - الذراع الديني لمنظمة R.S.S - قد قام باستعداداتٍ لشن هجمات واسعة النطاق ضد الطائفة المسلمة وكان فقط يبحث عن ذريعة. وقال آشوك نارايان: "لقد خطط الذراع الديني V.H.P لكل ذلك. كان الأمر شنيعاً"، مضيفاً أنه يعتقد أن مودي كان مشتركاً في الخطة منذ البداية. قال: "كان [مودي] يعرف كل شيء".

أخبر جي سي رايغار - مسؤول كبير بالشرطة - رنا أيوب أن الخطة الأولية كانت تتضمن السماح للهندوس بالقيام بانتقام محدود بشأن الهجوم. لكن العنف انتشر بسرعة كبيرة لدرجة أن حكومة مودي لم تعد قادرة على إيقافه. قال: "إنهم لم يريدوا استخدام القوة ضد مثيري الشغب - ولهذا السبب خرجت الأمور عن السيطرة".

جي سي رايغار - من بين آخرين - أخبر رنا أيوب أن قرار السماح بالانتقام من المسلمين تم تناقله خارج سلسلة القيادة الطبيعية: من المسؤولين حول مودي إلى ضباط الشرطة الذين كان يُعتَقد أنهم يكنُّون عداوات طائفية. وقال جي سي رايغار عن المسؤولين: "كانوا يخبرون أناساً من الذين أجبروهم في الماضي.. كانوا يعرفون من سيساعدهم".

وتحدث بعض المسؤولين عن عمليات القتل بطريقة عادية جداً، كما لو أن المسلمين كانوا يستحقون القتل. وقال بي سي باندي - مفوض الشرطة السابق في أحمد آباد: "كانت هناك أعمال شغب في أعوام **١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٨٩، ١٩٩٢،** وفي معظم الأوقات تعرض الهندوس للضرب - وكان للمسلمين اليد العليا، لذلك هذه المرة - في عام ٢٠٠٢ - كان يجب أن يحدث ذلك، كان ذلك انتقامُ الهندوس".

صار بي سي بانـدي يوجِّه رنا أيوب وفقاً لمنـطقه: "هذه مجموعة من المسلمين يذهبون ويشعلون النار في قطار - فماذا سيكون رد فعلك؟"
"ترد ضربتهم بأخرى؟"

●● قال **بي سي باندي**: "نعم، تـردِّي عليهـم بضربة. لقد أتيحـت الفرصة، فرُدِّيها لهم. لماذا ينبغي أن يعترض أي أحد؟" لقد أقنعَتْها محادثات كهذه بأن أعمال الشغب قد حدثت لأن الأشخاص الموجودين في السلطة أرادوها أن تحصل" كان الأمر كما لو أن القطع المفقودة من أحجية تركيب الصور قد بدأت تظهر."



كما قـال العديد من الضباط إن آمِت شـاه كان قد قاد عمـليات قتل خارج سلطة القضاء - من ضمنها قتل المتهم بأعمال الاغتيال 'شوراب الدين شيخ' وقتل الشهود على حادثة قتله. قوَّت المحادثات بشأن آمِت شاه قناعة رنا أيوب بأن الكثير من المشتبه بهم جنائياً قد تم القضاء عليهم بطريقة مماثلة. كتبت: "كان من الواضح أن ما وجدناه كان مجرد غيض من فيض".

تقول رنا أيوب: حتى الآن "بيعت ست مئة ألف نسخة من كتاب 'ملفات غوجارات' وتُرجم الكتاب إلى ثلاث عشرة لغة. قال لي هارتوش سينغ بال، المحرر السياسي في مجلة 'كارافان': "ما يجعل الأمر مقنعاً هو معرفة أن هؤلاء هم أكبر اللاعبين فيما حدث. إنهم يتحدثون في لحظات لا مبالاة، وهم يؤكدون ويضيفون معلومات إلى تلك التي نعرفها عنهم عن طريق المصادر الأخرى حتى الآن، ولكن ليس بهذا القدر من المعلومات من الداخل. وفجأة نضع مكبر صوت في قلب الغرفة مع الأشخاص الذين يعرفون كل شيء".

ربما كان العامل الرئيسي الذي أحدث ضجة كبيرة لكتاب "ملفات غوجارات" هو المناخ الذي ظهر فيه. بحلول عام ٢٠١٦، بعد عامين من ولاية مودي الأولى، كان في خِضَمِّ حملة لسحق أي صوت يتحدى النظام الجديد.

انتشرت بشكل كبير تغريدةٌ على تويتر اقتُبس فيها كلام نُسب زوراً إلى رنا أيوب تطلب فيه التسامح مع المسلمين الذين اغتصبوا أطفالاً. تبعتها تغريدات مزيفة أخرى، من ضمنها واحدة مزيفة تعلن فيها كراهيتها للهند. ورداً على ذلك، كتب شخص يدعى فيجاي سينغ تشوهان، "لا تدعيني أراك على الإطلاق، أو سنخبر العالم بأسره بما نقوم بفعله مع فاجرة مثلك. احزمي حقيبتك وارجعي إلى باكستان."

غالباً ما تتعرض الصحافيات في الهند إلى شكل قبيح بشكل استثنائي من الإيذاء. كانت التهديدات التي تلقتها رنا أيوب مماثلة لتلك التي أُرسلت إلى غوري لانكيش، وهي صحفية وناشرة كتب من ولاية كارناتاكا الجنوبية. كانت غوري لانكيش قد قدمت تقريراً عنيفاً ضد القومية الهندوسية وعن العنف ضد النساء وأفراد الطبقات الاجتماعية الدنيا. كما نشرت كتاب رنا أيوب مترجماً إلى لغة الكانادا، وهي اللغة السائدة في الولاية. وفي سبتمبر، ٢٠١٧، بعد أن قاست غوري لانكيش حملة طويلة من الهجمات عبر الإنترنت، قام رجلان بإطلاق النار عليها خارج منزلها ثم هربا على دراجة نارية.

أخبرتني نيها دِكسِت - التي قدمت تقارير رائدة عن حزب B.J.P - أنها تتلقى تهديدات بالقتل والسُباب الجنسي باستمرار. قالت: "كل يوم، استقبل ثلاثمائة إشعار فيه محادثات عن كيفية اغتصابي وقبيله". بالنسبة إلى نيها دِكسِت وآخرين ممن تستهدفهم هذه الحملات، من المريع جداً أن يبدو أن الإساءة قد أقرها حلفاء بارِزون لمودي. أرتني رنا أيوب تغريدةً لـ 'فاييهاف أغاروال' وهو شخصية إعلامية يتحدث غالباً باسم B.J.P - يذكر فيها إساءة جنسية لرنا أيوب. يقول في التغريدة: "تريدين أن ترقصي في المطر وتبتلّي ثم بعدها لا ترغبين بالإصابة بالتهاب رئوي". وذلك إيحاء بأنها تستحق كل الإساءات التي وُجهت إليها.

براتيك سينها مهندس برامج سابق ومؤسس موقع Alt News، الذي يتتبع المعلومات المضللة عبر الإنترنت. وصف براتيك سينها عملية ذكية على وسائل التواصل تعمل باسم B.J.P. وفي عام ٢٠١٧، قامت مجموعته باكتشاف نموذجي، عندما أصدر موقع ُلأنصار حزب B.J.P وهو Hindutva.info مقطعاً مصوراً فيه طعن مروِّع بالسكين. تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي كدليل على أن المسلمين كانوا يقتلون الهندوس في ولاية كيرالا. بونيت شارما - مسؤول في منظمة R.S.S ويتابعه مودي على تويتر - روَّج مقطع الفيديو قائلاً إن المقطع يجب أن يجعل "دماء الهندوس يغلي". لكن عندما تتبَّع موقع Alt News مصدر الفيديو، ظهر أنه يصور عملية قتل قامت بها عصابة في المكسيك.



أخبرني براتيك سينها أنه يعتقد أن بعضاً من أكثر منشورات التواصل الاجتماعي عدوانية يتم تحريضها بواسطة "خلية تكنولوجيا معلومات" يعمل بها ويمولها أناس موالون لحزب B.J.P. قال إن الأشخاص المنتسبين إلى B.J.P يدعمون مواقع إنترنت تروِّج للدعاية الموالية لمودي وتهاجم أعداءه. وقال: "إنهم منظَّمون وسريعون. لقد أتقنوا القيام بذلك منذ زمن طويل في غوجارات".

عندما أحكم مودي قبضته على الحكومة، استخدم قوتها لإسكات المنافذ الإعلامية الرئيسية. في عام ٢٠١٦، بدأت إدارته تتحرك لسحق شبكة الأخبار التلفزيونية NDTV. كانت تلك القناة منذ بداية بثها في عام ١٩٨٨ واحدة من أكثر القنوات الإخبارية حيوية وأكثرها مصداقية. في هذا الربيع حين فُرِزت الأصوات

في الانتخابات العامة - تلقى موقعها على شبكة الإنترنت ١٦.٥ مليار زيارة في يوم واحد. وفقاً لشخصين مطَّلِعين على الوضع.. سحبت إدارة مودي تقريباً جميع الإعلانات الحكومية من الشبكة - أحد مصادر دخلها الرئيسية - وضغط أعضاء حكومته على الشركات الخاصة للتوقف عن شراء الإعلانات. سرَّحت هذه القناة مؤخراً حوالي أربعمائة موظف - أي ربع موظفيها. ويقول الصحفيون الباقون إنهم لا يعرفون كم من الوقت يمكن أن يستمروا. قال لي أحدهم: "إنها أيام عصيبة".

●● تلك السنة، وجد كاران ثابار - الصحفي الذي سأل مودي عما إذا كان يريد التعبير عن الندم بشأن أعمال الشغب في غوجارات - أنه لا يوجد أحد من حزب B.J.P يريد أن يظهر على برنامجه الليلي أبداً. فجأة لم يعد كاران ثابار - وهو أبرز صحفي تلفزيوني في البلاد - قادراً على تغطية مواضيع سياسية بفعالية. اكتشف عندها أن أعضاء حكومة مودي كانوا يدفعون رؤساءه في العمل لإبعاده عن البث. قال لي كاران ثابار: "إنهم يجلبون التعاسة للمرء.. 'نعتقد أنه ليس من الصائب إبقاؤه معنا'." (شبكته - الهند اليوم - تنفي أنها قد تأثرت بـ "ضغوط خارجية".) في عام ٢٠١٧ أبدى رؤساؤه في العمل ترددهم في تجديد عقده، لذلك ترك العمل في الشبكة.

وفي العام الماضي، بوبي غوش محرر صحيفة هندوستان تايمز، وهي واحدة من الصحف التي لها القدر الأكبر من الاحترام في البلاد نظَّم سلسلة تتبَّع فيها العنف ضد المسلمين. التقى مودي بمالك الصحيفة على انفراد، وفي اليوم التالي طُلب من بوبي غوش المغادرة. في عام ٢٠١٦، أجرت مجلة Outlook الهندية تحقيقاً مثيراً للقلق قامت به نيها دِكسِت، وكشف أن منظمة R.S.S عرضت أن ترسل عشرات الأطفال الفقراء في ولاية آسام إلى المدارس، ثم أرسلتهم إلى معسكرات هندوسية قومية ليُلقنوا فكرياً في الجانب الآخر من البلاد. وفقاً لشخص على دراية بالوضع، تعرض مالكو مجلة Outloo وهي إحدى أكثر الأُسَر ثراءً في الهند، وتعتمد أعمالها على موافقات حكومية لضغوط من إدارة مودي. قال الشخص: "لقد كانوا سيدمرون إمبراطوريتهم". بعدها بوقت ليس بطويل استقال كريشنا براساد المحرر العامل في مجلة Outlook منذ فترة طويلة.

قالت كل من رنا أيوب ونيها دِكسِت أنه لا يوجد إعلام رئيسي يرعى عملهما. قالت لي رنا أيوب: "الكثير من المراسلين الجيدين في الهند يعملون 'فريلانس' (عمل حر ومستقل).. لا يوجد أي مكان نذهب إليه". حتى الأخبار التي يفترض أن تسبب فضيحة.. تأثيرها ضئيل. في يونيو، ذكرت مجلة بزنس ستاندرد Business Standard أن حكومة مودي كانت تضخّم معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي بما يقارب الضِعف. أثار التقرير غضباً عاماً، لكن مودي لم يعتذر، ولم يُجبَر أي من المسؤولين على الاستقالة.



فقط عدد قليل من الجماعات الصغيرة تُقدِّم تغطية قوية بشكل منتظم. أبرزها مجلة The Caravan وموقع إخباري يسمى The Wire - يوظف حوالي سبعين صحفياً - وهو عدد بالكاد يكفي لتغطية مدينة كبيرة، ناهيك عن بلد يزيد عدد سكانه عن مليار شخص. في عام ٢٠١٧، بعد أن نشر موقع The Wire خبراً عن تعاملات تجارية مشبوهة يديرها ابن آمِت شاه، بدأ وزراء مودي بالضغط على الجهات المانحة التي تقدم الدعم للموقع للتوقف عن تقديم التمويل.

كما رفع ابن آمِت شاه - الذي نفى هذه الادعاءات - دعوى قضائية كان الدفاع فيها مكلفاً. أخبرني سيدهارث فاراداراجان - المحرر المؤسس للموقع - أنه يكافح ليس فقط ضد الحكومة بل وأيضاً ضد وسائل الإعلام المذعنة للحكومة. وقال: "نعتقد أن الناس في هذا البلد يقدِّرون قيمة حرياتهم وديمقراطيتهم وأنهم سيدركون عندما تتلاشى حرياتهم. لكن قسماً كبيراً من وسائل الإعلام منشغل بإخبارهم بشيء مختلف تماماً."

غالباً ما يحصل أنصار مودي على أخبارهم من قناة RepublicTV، التي تعرض مباريات صراخ وتشهير علني، وشتائم لاذعة للجميع باستثناء أنصار مودي الأكثر عبودية له. تأسست قناة RepublicTV عام **٢٠١٧** بدعم من حزب B.J.P. ويبرز فيها أرناب غوسْوامي، وهو خريج من جامعة أكسفورد يقوم بدور الجلاد العمومي لمعارضي أنشطة مودي. في برنامج اعتيادي في عام **٢٠١٧**، ذكر غوسوامي قانوناً يفرض على دور السينما دور النشيد الوطني، وتساءل عما إذا كان ينبغي مطالبة الناس بالوقوف له؛ قال ضيفه واريس باثان - وهو عضو مسلم في مجلس الولاية - إنه ينبغي أن يكون مسألة اختيار. صرخ غوسوامي في واريس باثان: "لماذا لا تستطيع الوقوف؟". قبل أن يتمكن باثان من الإجابة بدأ يصرخ به: "لماذا لا تستطيع الوقوف؟ ما هي مشكلتك في ذلك؟ سوف أخبرك بالسبب.. لأنه.. - سأخبرك بالسبب.. سأخبرك.. سأخبرك لماذا.. ممكن أخبرك؟ إذاً لماذا لا تتوقف حتى أخبرك لماذا؟ لا تكن ضد القومية! لا تكن ضد القومية! لا تكن ضد القومية!"

●● عدم وجود تدقيق صحفي أعطى مودي حريةً هائلة للسيطرة على مجريات الأحداث. لم يكن هذا أكثر وضوحاً مما كان عليه في الأشهر التي سبقت إعادة انتخابه في عام **٢٠١٩**. أدار مودي حملة قيل إنها تكلف حوالي خمس مليارات دولار بدعم من حلفائه في مجال الأعمال التجارية. (تكلفتها بالضبط غير معروفة، بسبب القوانين الضعيفة المتعلقة بتمويل الحملات.) ومع ذلك، كان مودي يفقد الزخم مع اقتراب التصويت.. ما أعاقه هو الاقتصاد الذي لم يرتقِ إلى المستوى المطلوب. في **١٤** فبراير، فجر مهاجِم انتحاري سيارة محملة بالمتفجرات في قافلة عسكرية هندية في كشمير فقتل أربعين جندياً. نشَّط الهجوم مودي: ألقى سلسلة من الخطب العدائية، مصرًّاً على أن "دماء الناس تغلي!" وألقى باللوم في الهجوم على باكستان - الخصم الأكبر للهند - وأرسل الآلاف من الجنود إلى كشمير. أطلق أنصار حزب B.J.P هجوماً عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث هاجموا باكستان وأشادوا بـ مودي باعتباره "نَمِراً". وتضمن أحد المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي الذي انتشر بكثرة تسجيلاً هاتفياً لمودي يواسي فيه إحدى الأرامل.. اتضح أن التسجيل يعود لعام **٢٠١٣**.



في السادس والعشرين من فبراير، أمر مودي بشن غارات جوية ضد ما زعم أنه معسكر تدريبي لمسلَّحين في بلدة بالاكوت. ووصفت وسائل تواصل متعاطفة معه العملية بالانتصار الكبير.. فقد ضخت الكثير من الصور لمكان مدمَّر. وادعت نقلاً عن مصادر رسمية مقتل ثلاثمائة مسلح. لكن المراسلين الغربيين الذين زاروا الموقع لم يعثروا على أي دليل على حدوث أي وفيات.. لم يكن هناك سوى عدد من الحفر ومنزل مدمر قليلاً وبعض الأشجار الساقطة. تبيَّن أن العديد من المنشورات الموالية لمودي كانت افتراءً محضاً. أشار براتيك سينها - من قناة Alt - إلى أن الصور التي زُعِم أنها تصور المسلحين الباكستانيين القتلى إنما أظهرت في الواقع ضحايا موجة حر. صورٌ أخرى - زعموا أنها من الضربات الجوية - كانت مأخوذة من لعبة فيديو تدعى" Arma 2 ".

ولكن في بلد فيه مئات الملايين أُمِّيُّون أو شبه أمِّيِّين، مرَّت الفكرة الضخمة. ارتفعت نسبة أصوات مودي في صناديق الاقتراع وانتهى الأمر بفوزه. فاز حزب B.J.P بأغلبية في مجلس النواب، مما جعل مودي أقوى رئيس وزراء منذ عقود. أخبر آمِت شاه - نائب مودي - مجموعة من العاملين في الانتخابات أن شبكات التواصل الاجتماعي للحزب كانت قوة لا يمكن وقفها. قال: "هل تفهم ما أقوله؟ نحن قادرون على إيصال أي رسالة نريدها للعامَّة - سواء كانت تسرّهم أو تغضبهم.. حقيقيةً كانت أم زيفاً."

بالنسبة للكثيرين، كان انتخاب مودي للمرة الثانية يوحي أنه كشف سراً رهيباً في قلب المجتمع الهندي: أنه "يمكن لزعيم البلاد إقناع الهندوس بمنحه سلطة لا حدود لها من خلال نشره خطاباً طائفياً خبيثاً". قدمت حكومة مودي في الأشهر التالية سلسلة مبادرات استثنائية تهدف إلى إحكام الهيمنة الهندوسية. كان أبرزها - إلى جانب إلغاء الوضع الخاص لكشمير - إجراءُ يهدف إلى سحب الجنسية من حوالي مليونين من سكان ولاية آسام الذين عَبَرَ أكثرهم الحدود قادمين من دولة بنغلاديش المسلمة منذ عقود. في سبتمبر، بدأت الحكومة ببناء مراكز احتجاز للمقيمين الذين أصبحوا غير شرعيين بين عشية وضحاها.

" انتشر شعور باليأس بين العديد من الهنود الذين كانوا ما زالوا متمسكين بالرؤية العلمانية الشاملة لمؤسسي الدولة. قال لي براساد محرر مجلة -Out look السابق: "كان غاندي ونهرو من الشخصيات التاريخية العظيمة، لكنني أعتقد أنهما كانا حالة استثنائية. الأمر مختلف جداً الآن. لقد انهارت المؤسسات الجامعات ووكالات التحقيق والمحاكم ووسائل الإعلام والهيئات الإدارية والخدمات العامة. وأعتقد أنه لا توجد إجابة يقبلها العقل لما حدث، سوى أننا تظاهرنا بأننا كنا كما كنا طوال خمسين أو ستين عاماً. لكننا الآن نعود إلى الشكل الذي نريده دائماً، ألا وهو سحق الأقليات وحشرهم في زاوية وإطلاعهم على أماكنهم ولغزو كشمير ولإفساد وسائل الإعلام، ولجعل الشركات خدماً للدولة. وكل هذا في ظل انتعاش شديد للهندوسية. أصبحت الهند الدولة التي لطالما أرادت أن تكون". "

في **٣١** مارس **٢٠١٧**، توجه مزارعٌ مسلم من منتجي الألبان اسمه بيهلو خان إلى مدينة جايبور مع العديد من الأقارب لشراء بقرتين لمشروعه. في طريقه إلى المنزل، أغلق مجموعة من الرجال الطريق وحاصروا شاحنته واتهموه بالتخطيط لبيع الأبقار كلحوم. الأبقار مقدسة عند الهندوس، ومعظم الولايات الهندية تحظر قتلها. لكن بصفة عامة يسمح القانون بأكل لحم الأبقار التي ماتت بشكل طبيعي والاستفادة من جلودها - وهي وظائف غالبا ما يمتهنها المسلمون والطبقات الدنيا من الهندوس، وهذا يجعلهم عرضة لاتهامات زائفة.

جرَّ الرجال بيهلو خان وأقاربه من الشاحنة وبدأوا بضربهم والصراخ فيهم بنعوت معادية للمسلمين. قال ابن أخيه: "لقد أريناهم أوراق شراء الأبقار، لكن هذا لم يكن مهماً بالنسبة لهم"، نُقِل خان إلى المستشفى حيث توفي بعد ذلك بوقت قصير.



تمكن أقارب خان من التعرف على تسعة من المهاجمين. كان معظمهم أعضاء في 'باجرانغ دال' - أحد فروع منظمة R.S.S. ولكونها تتألف ظاهرياً من الشباب فإنها توفر القوة البدنية اللازمة والحراسة لأعضاء حزب B.J.P. كما تَورَّط هذا الفرع بسلسلة من جرائم قتل للمسلمين في جميع أنحاء البلاد.

في جايبور، التقيت بـ آشوك سينغ، رئيس فرع باجران دال في راجستان. أخبرني آشوك سينغ أنه ورجاله ملزمون بالدفاع عن الأبقار من الوباء المتمثل بسرقتها وقتلها. تحدث لعدة دقائق عن قداسة البقرة. وقال إن كل حيوان فيه ثلاثمائة وستون مليون إله، وحتى روثه فيه أكاسير مفيدة للبشر. قال آشوك سينغ عن المسلمين: "إنهم يذبحونها ويقتلونها. إنها مؤامرة". واعترف بأن أعضاء فرع باجران دال شاركوا في إيقاف خان، لكنه أصر على أن من قتله هم أشخاص آخرون. قال: "كان هناك الكثير من الغوغاء. لم يكن لدينا القدرة على السيطرة عليهم."

ألقي القبض على المهاجمين الذين تعرف عليهم أقارب خان ووجهت إليهم تهم، لكن أهل الأهالي تعاطفوا معهم. بعد أن رفض المدعي العام

قبول شهادة أي من الشهود أو تسجيلات الفيديو في الهواتف الخلوية كأدلة، تمت تبرئة جميع المهاجمين. قال لي قاسم خان وهو محامي العائلة: "لقد زُوِّرت القضية". "قُرِّرت النتيجة قبل المحاكمة."

وفقاً لـ فاكت تشيكر 'FactChecker'، وهي منظمة تتعقب العنف الطائفي من خلال مسح تقارير إعلامية : كان هناك ما يقرب من ثلاثمائة جريمة كراهية بدوافع دينية في العقد الماضي - جميعها تقريباً حصلت منذ أصبح مودي رئيساً للوزراء. لقد قتل الغوغاء الهندوس العشرات من الرجال المسلمين. أصبحت جرائم القتل، التي غالباً ما يحرِّض عليها أعضاء فرع باجران دال، تُعرف باسم "عمليات القتل الغوغائي"، والتي تثير الرعب الذي اجتاح الجنوب الأمريكي بعد إعادة الإعمار. تتم عمليات القتل الغوغائي على خلفية الهستيريا التي أحدثتها منظمة R.S.S وحلفاؤها: الذعر الحاصل لدى الغالبية العظمى التي تُقدَّر بمليار شخص من كونها ضحية لأقلية أصغر بكثير.

عندما يُقتل المسلمون بهذه الطريقة، فإن مودي لا يقول شيئاً وبما أنه نادراً ما يعقد مؤتمرات صحفية فإنه لا يُسأل عنهم مطلقاً. لكن مؤيديه غالباً ما يُحَيُّون القتلة. في يونيو ٢٠١٧، رجل مسلم اسمه عليم الدين أنصاري - كان قد اتُّهم بالاتجار الغير قانوني بالبقر -ضُرِب حتى الموت في قرية رامغاره. أُدين أحد عشر رجلاً بالقتل- من ضمنهم زعيم محلي من حزب B.J.P. لكن أُطلق سراحهم في يوليو الماضي بانتظار الاستئناف. عند إطلاق سراحهم، قابل جايانت سينها ثمانية منهم - وهو وزير الطيران المدني من حزب B.J.P. جايانت سينها، وهو خريج جامعة هارفارد ومستشار سابق في شركة ماكينزي آند كومباني، ألبس الرجال أكاليل الزهور وقدم لهم الحلويات. وقال حينها: "كل ما أقوم به هو احترام الإجراءات القانونية".

أثار القوميون الهندوس في شمال الهند الذعر حول فكرة أن الرجال المسلمين يشاركون في حملة سرية لإغواء نساء الهندوس للزواج والدعارة. كما هو الحال مع الهستيريا المتعلقة بقتل الأبقار، يتشكل الصخب في الغالب

على وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات مثل واتساب، حيث تنتشر الشائعات بشكل عشوائي. الفكرة المعروفة باسم "جهاد الحب": [يتظاهر المسلم بحب الفتاة غير المسلمة طمعاً في أن تعتنق الإسلام] - تكمن جذورها في صورة الذكر المسلم الذي لا يفكر إلا في الجنس، يتقوَّى باللحم البقري ويتصيَّد النساء الهندوسيات الجذَّابات. أي رجل مسلم يُشاهَد مع امرأة هندوسية فإنه عُرضة للهجوم في العديد من المناطق. قبل عامين أنشأ وزير ولاية أُوتار براديش من حزب B.J.P - فرقاً مضادة لهذه الظاهرة، والتي وجهت مضايقات للرجال المسلمين ممن يُعتقد أنهم يحاولون إغواء النساء الهندوسيات. أُوقِف عمل الفرق بعد أن قامت العصابات بضرب عدد من الرجال الهندوس خطأً.



في قريةٍ في ولاية هاريانا، تحدثْتُ مع امرأة هندوسية شابة تدعى عائشة. قبلها بعام، قابَلَت عائشة رجلاً مسلماً يدعى عمر، وهو بائع للطب الروحي كان يزور منزلها لعلاج والدتها. أحب كل منهما الآخر، وقررا أن عائشة ستعتنق الإسلام ويتزوجان. قالت إن عائلتها شعرت بالرعب. هربت عائشة مع عمر في إحدى الليالي إلى قريته التي تبعد بضعة أميال، وتزوجا في مسجد، وانتقلا إلى أقاربه. قالت عائشة إن عائلتها حاولت لعدَّة أشهر إقناعها بالطلاق وذات مرة أحضر لها والدها مسدساً وورقة انتحار لتوقعها. قالت: "كنت حزينةً للغاية، وتقريباً وافقته في ذلك".

بينما كان عمر يركب دراجته في إحدى الليالي، تبعه رجلان على دراجات نارية (سكوتر). سحب أحدهم مسدساً وقتل عمر. بقيت عائشة مع عائلة عمر وقالت إنها لن تعود إلى عائلتها أبداً. وقالت: "أنا متأكدة مائة في المائة من أن أهلي مسؤولون عن وفاة زوجي".

عندما كانت رنا أيوب طفلة، اجتمعت مجموعة من الرجال كل صباح للصلاة والتدريب على فنون الدفاع عن النفس في ميدان يقع في آخر الشارع الذي يطل عليه منزلها. شكل الرجال فرعاً محلياً لمنظمة R.S.S، ورددوا في بعض الأحيان شعارات تمجِّد السيادة الهندوسية: "تحية لدولة الهند الأم". كان الرجال ودودين وحريصين على تجنيد المسلمين. لكنها علِمت في المدرسة أن أحد أتباع منظمة R.S.S كان قد قتل غاندي، لذلك بقيت وشقيقها 'عارف'، بعيدة عنهم. قالت: "كنا نشاهد بافتتان، لكنني لم أكن أحب أن أكون هناك."

في وقت مبكر من صباح أحد الأيام في أحمد آباد، في ملعب بمدرسة إليزبريدج المحلية رقم ١٢، كنت أنظر إلى هناك عندما قام عشر رجال برفع العلم الزعفراني لمنظمة R.S.S. تراوحت أعمارهم بين الثامنة عشرة والثالثة والستين، وكانوا جميعاً رشيقين وذوي لياقة بدنية، وكان العديد منهم يرتدون السراويل القصيرة ذات اللون الخاكي المميِّزة للجماعة. بدأوا بوضعيات يوغا وتمارين رياضية. ثم أخرجوا عصيّاً خشبية طويلة وبدأوا بأداء التدريبات العسكرية. (قال أحد قادة منظمة R.S.S ذات مرة إن كوادر الجماعة يمكن تجميعها للقتال أسرع من الجيش الهندي).

انتهى الرجال وشكلوا نصف دائرة على الأرض، وصلّوا للإله الهندوسي.. الشمس: "يا أيتها المشرقة! يا مبددة الظلام! يا مصدر الحياة!" وانتهوا بصراخ: "النصر للهند".

بعد ذلك، ضحك الرجال كان من ضمنهم مهندسٌ ومحامٍ وتاجر ملابس وشرطي وربَّت بعضهم على ظهر الآخر. لقد شكلوا معاً فرع 'بالدي' لمنظمة R.S.S، وهو واحد من أكثر من ثلاثين ألفاً عبر الهند. بالدي هو حي ذو أغلبية

هندوسية بنسبة كبيرة، ولكن أقرب جيب للمسلمين - والذي تعرض للهجوم في عام ٢٠٠٢ -يبعد أقل من ميل واحد. في هذا الصباح، لم يكن هناك الكثير من الحديث عن السياسة. قال لي طالب اسمه نيهال بوراسين: "أنا هنا فقط لأحافظ على لياقتي".



للحصول على شرح أكمل لنظرة منظمة R.S.S إلى العالم، تحدثت إلى سودهانشو تريفيدي، وهو عضو دائم أصبح الآن المتحدث الرسمي باسم B.J.P. أخبرني سودهانشو تريفيدي خلال العشاء في فندق أمباسادور في دلهي أن منظمة R.S.S مكرسة لنشر "هندوتفا": وهي فكرة أن الهند هي قبل كل شيء أمة للهندوس. وقال إن منظمة R.S.S أكبر منظمة من نوعها في العالم. وفي وجودها لمدة أربعة وتسعين عاماً، كانت قد ترسخت في كل جانب من جوانب المجتمع الهندي.

تقول المنظمة إنها تدير حوالي ثلاثين ألف مدرسة ابتدائية وثانوية، وتدير مستشفيات في جميع أنحاء الهند، وخاصة في المناطق النائية وأن لديها ثاني أكبر شبكة من النقابات المهنية في الدولة وأكبر شبكة من المزارعين، وأكبر منظمة للرعاية الاجتماعية تعمل في الأحياء الفقيرة. جاء حزب B.J.Pالحزب السياسي المهيمن في الهند في آخر السلسلة التي سردها. "لذلك، يمكنك أن ترى في مخطط الأشياء بأكمله مقارنة بما تفعله منظمة R.S.S ما يفعله حزب B.J.P قليل. في الواقع، إن منظمة R.S.S كانت تتحول

بسرعة إلى دولة داخل دولة مسيطرة على الهند من الداخل. أعلنت المنظمة خلال الصيف أنها ستنشئ مدرسة لتدريب الشباب ليصبحوا ضباطاً في القوات المسلحة. هذا العام، وقَّع أكثر من مائة وخمسين من الضباط السابقين والرجال المجندين على خطاب يدين استخدام "غير مقبول أبداً" للجيش لأغراض سياسية. كانوا يشيرون إلى نسبة مودي الفضل لنفسه في الضربات عبر الحدود في باكستان، وإلى التفاخر بالجيش الذي أبداه بعض الساسة في حزب B.J.P بوصفه "جيش مودي".

أخبرني سودهانشو تريفيدي أن مفتاح فهم الهند الحديثة هو قبول أن "الهندوسية ليست ديانة ببساطة، بل إنها طريقة للحياة". أي شخص يولد في الهند هو جزء من الهندوسية. ولذلك تزدهر جميع الديانات الأخرى الموجودة في الهند بسبب الهندوسية.. وتتبع للهندوسية. وقال "ثقافة الإسلام محفوظة هنا بسبب الحضارة الهندوسية".

كجزء من مشروع هندوتفا يقوم قادة حزب B.J.P بإعادة كتابة الكتب المدرسية في جميع أنحاء البلاد، ويحذفون معظم تاريخها الإسلامي - ومن ضمنه تاريخ المغول، وهم أباطرة مسلمون حكموا الهند لمدة ثلاثة قرون. غيَّر حزب B.J.P أسماء الأماكن المغولية إلى أسماء هندوسية. في العام الماضي غُيِّر اسم محطة سكة القطار 'مغولساراي' - التي بُنيت في وسط الهند منذ قرن ونصف - إلى دين 'دايال أُبادهيايا'، وهو زعيم هندوسي قومي يميني. 'الله أباد' - مدينة يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة - تسمى الآن 'برايا راج'، وهي كلمة سنسكريتية تشير إلى مكان تقديم الأضحية. في نوفمبر، عادت قصة 'أيوديا' القديمة إلى الأخبار مرة أخرى، عندما سمحت المحكمة العليا في الهند ببناء معبد هندوسي في موقع مسجد بابري. في قرار مكوَّن من ألف صفحة، لم تقدم المحكمة أي دليل على أن المعبد قد دُمِّر لبناء المسجد، وأقرت بأن المسجد قد هدمه مجموعة من الغوغاء الغاضبين. ومع ذلك فقد سلمت الموقع للحكومة، مما سمح لحزب B.J.P بمباشرة بناء المعبد.

أخبرني سودهانشو تريفيدي أنه لا يوجد أحد في منظمة R.S.S. يكِنُّ عداوة للإسلام. لكنه قال إنه من المهم أن نفهم إلى أي مدى تدهور الإيمان. "المجتمع الأكثر ثقافة في الهند هم الفارسيون، وهم أقلية. وثاني أكثر مجتمع مثقف هم المسيحيون، وهم أقلية. المجتمع الأكثر ازدهاراً هم طائفة الجين، وهم أقلية. أكثر أصحاب المشاريع الريادية هم طائفة السيخ، وهم أقلية. أول عالم نووي في الهند كان فارسياً، وهو من الأقلية. فما هي المشكلة مع المسلمين إذن؟ سأخبرك. لقد أصبحوا أسرى للفكر الجهادي".



"عندما احتُجِزَت رنا أيوب والمصوِّرة في المستشفى في سريناغار، وجدْتُ مكاناً للاختباء في الجهة المقابلة من الشارع. كانت رنا أيوب ستواجه تبِعات خطيرة إذا تبين أنها أدخلت شخصاً أجنبياً خلسةً. خرجتا بعد حوالي ساعة وقالت رنا أيوب إن ضابط مخابرات استجوبهما باهتمام ثم أطلق سراحهما موبِّخاً إياهما: "لا تعودا"."

●● في صباح اليوم التالي، توجهنا إلى قرية باريغام الواقعة بالقرب من موقع الهجوم الانتحاري الذي كان الدافع وراء غارات مودي الجوية على باكستان. سمعنا أن قوات الأمن الهندية قد اجتاحت المدينة واحتجزت العديد من الرجال. يحظى التمرد بدعم كبير في القرى الواقعة خارج العاصمة، وقد اتَّسم الطريق المؤدي إلى باريغام بوجود الأكياس الرملية والأسلاك الشائكة لنقاط التفتيش التابعة للجيش الهندي. كانت الطرقات مهجورة في معظم المسافة التي قطعناها إلى هناك.

في القرية، أوقفت رنا أيوب السيارة لتتحدث إلى بعض أهل المنطقة. اكتشفت خلال بضع دقائق مع من يجب أن نتحدث أولاً: شابير أحمد، وهو صاحب مخبز محلي. وجدناه متربِّعاً على شرفته وهو يقشر كومة ضخمة من اللوز. في المقابلات تخفف رنا أيوب من وتيرة النقاش المعتادة في المناظرات؛ أخذت مكاناً من الشرفة كما لو كانت قادمة من أجل زيارة قصيرة. أخبرها أحمد - ذو الخمسة وخمسين عاماً - أنه خلال عمليات المسح، جاءت مركبة مصفحة إلى منزله بعد منتصف الليل. هرع عشرات الجنود من قوات 'راشتريا رايفلز'، وهي وحدة مسلحة من الجيش الهندي لمكافحة التمرد، وبدأوا في تحطيم نوافذ بيته. وقال إنه عندما جاء أحمد وابناه إلى الخارج، جرَّ الجنود ُ الشابَين إلى الشارع وبدأوا بضربهما. قال أحمد: "كنت أصرخ طلباً للمساعدة، لكن لم يخرج أحد. كان الجميع خائفين للغاية."

انضم إلينا ابْنا أحمد على الشرفة. وقال أحدهما - واسمه مُظَفَّر - إن الجنود استشاطوا غضباً من شبابٍ ألقَوا حجارةً على دورياتهم. جرُّوا مُظَفَّر إلى الشارع باتجاه المسجد ثم أمره أَحد الجنود قائلاً: "إرمِ الحجارة إلى المسجد كما كنت تلقي الحجارة علينا".

قال مُظَفَّر إنه نُقل هو وأخوه علي إلى قاعدة محلية، حيث قيَّدهما الجنود على كراسٍ وضربوهما بعصي الخيزران. وقال "ظلوا يسألونني: 'هل تعرف أي واحد ممن كانوا يرمون الحجارة؟' وظللت أقول إنني لا أعرف أي واحد منهم، إلا أنهم ظلوا يضربونني". وقال مُظَفَّر إنه عندما أغمي عليه ربط جندي منهم أقطاب كهربائية على ساقيه وبطنه وصعقه بالكهرباء. رفع مُظَفَّر بنطاله وكشف بقعاً من الجلد المحروق على ساقه من الخلف. لقد استمر الأمر هكذا لبعض الوقت، قال إنه كان يغمى عليه، وعندما يستعيد وعيه، يبدؤون بضربه مرة أخرى. وقال: "كانت تحدث لجسدي تشنجات"، ثم بدأ يبكي.

بعد إطلاق سراح مُظَفَّر وعلي، نقلهما والدهما إلى المستشفى المحلي. قال مُظَفَّر: "لقد كسَّروا عظامي. لم أعد أستطيع أن أسجد لله".

"كان من المستحيل التحقق من حكاية الأخوين، ولكن كما هو الحال مع العديد من الروايات التي سمعناها أنا ورنا أيوب في القرية.. كان الألم مقنعاً. قالت لي رنا أيوب: "أنا نسخة أكثر تحضراً قليلاً من هؤلاء الناس. أنا أرى ما يحدث.. الدعاية والكذب وما تفعله الحكومة للناس. لكن لدي كل شيء مشترك مع هؤلاء الناس. إنني أشعر بألمهم"."



في أحد الأيام، مشينا أنا ورنا أيوب بعد الظهر في شارع سورا، وهو حي قاحل في المدينة القديمة لسريناغار، وكان الحي مَوْقِعاً لعدة مواجهات مع قوات الأمن. في الوقت الذي وصلنا فيه إلى هناك، كانت الشرطة والجيش قد انسحبوا، ومن الواضح أنهم رأوا أن الشوارع الضيقة جعلت رجالهم غير محصنين أبداً. أخبرنا أهل الحي أنهم يرَون سورا أرضاً محررة أخذوا عهداً على أنفسهم بمهاجمة أي شخص من الحكومة يحاول الدخول. بدا كل جدار فيه مليئاً بالكتابات. إحدى الخربشات كانت: "التغيير الديموغرافي غير مقبول!"

شعر الكشميريون الذين قابلناهم أنهم محاصرون وأن أصواتهم قد قُمِعت. وقال يونس - وهو صاحب متجر - عن وسائل الإعلام الهندية: "الأخبار الحقيقية.. لا ينشرونها أبداً". قبلها بأيام قُبض على ابنه عاشق البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، وتعرض للضرب على أيدي قوات الأمن تماماً كما حصل معه هو قبلها بثلاثين عامٍ. وقال: "لم يسأل أحد ُأبداً شعب كشمير عما يريدون.. إن كانوا يريدون البقاء مع الهند أو الانضمام إلى باكستان أو أن

يصبحوا مستقلين. لقد سمعنا الكثير من الوعود. لقد رفعنا جُثثاً بأيدينا، ورؤوساً منفصلة عن الأجساد، وأرجلاً مبتورة، ووضعناها كلها في قبور".

ما يزال الكثير من الكشميريين يرفضون قبول السيادة الهندية، ويتذكر البعض الوعد الذي قطعته الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨، بأن الاستفتاء سيحدد مستقبل الولاية. مُنِحت كشمير وضعاً خاصاً - محفوظ في المادة ٣٧٠ - ومُنِحت صلاحيات كبيرة في الحكم الذاتي. لم تتحقق معظم تلك الصلاحيات. ابتداءً من أواخر الثمانينيات، حوَّل التمرد المسلح - الذي تدعمه باكستان - المنطقة إلى ساحة حرب. الصراع في كشمير هو بصورة عامة حربُ كمائن وهجمات انتقامية. يقوم المتمردون بضرب قوات الأمن الهندية فترد قوات الأمن بحملات قمع. لدى جماعات مثل 'هيومن رايتس ووتش' سجلات مفصلة لانتهاكات من كلا الجانبين، ولكن بشكل استثنائي الانتهاكات من جانب الحكومة الهندية.

ادَّعت منظمة R.S.S وآخرون من القوميين الهندوس أن الجهود المبذولة لتهدئة الكشميريين خلقت ديناميكية فشل ذاتي. وقالوا إن التمرد خنق التنمية الاقتصادية، وأن المادة ٣٧٠ كانت تقيِّد الاستثمار والهجرة، وتؤدي بالمنطقة إلى التخلف. بدا قرار مودي بإلغاء المادة بمثابة نقطة النهاية المنطقية لنظرة منظمة R.S.S إلى العالم: الجمود الكشميري ستكسِره قوةٌ هندوسية ساحقة.

بينما كنت أنا ورنا أيوب نتجول في كشمير، بدا من غير الواضح كيف تنوي الحكومة الهندية الاستمرار. النشاط الاقتصادي قد توقف.. المدارس مغلقة.. عُزِل الكشميريون عن العالم الخارجي وعن بعضهم البعض. أخبرنا طبيب في سريناغار: "لدينا أعداد ضخمة من حالات الاكتئاب". حَذَّر العديد من الكشميريين من أن الانفجار قد يكون على الأرجح لحظة رفع الإجراءات الأمنية. قالت امرأة تدعى دوشديا "إن مودي يفعل ما فَعَلَه في غوجارات منذ عشرين عاماً عندما دهس المسلمين بجرَّارٍ هناك".

كتب صاحب العمود في صحيفة ‘براتاب بهانو ميهتا’ أن ”الديمقراطية الهندية تفشل“ في كشمير. وأشار إلى أن مسلمي البلاد - الذين قاوموا التطرف إلى حد كبير - سيستنتجون أنه ليس لديهم شيء آخر يلجؤون إليه. وكتب أن ”حزب B.J.P يظن أنه سيحول كشمير إلى ولاية هندية عادية.. إنما ما سنراه هو احتمال تحويل الهند إلى كشمير كبيرة: قصة الديمقراطية الهندية المكتوبة بالدم والخيانة“.



”زرت أنا ورنا أيوب حي ‘مهجو ناغار’ في سريناغار، الذي تركه العديد من الشباب للانضمام إلى المسلحين. كان الحديث في الشارع عن زوجين: نزير وفامِدا اللذَين أُعتُقِل ابنهما اسمه مؤمن في الحملة. جاء رجال مسلحون من قوة شرطة الاحتياط المركزية إلى بيتهم في وقت متأخر في إحدى الليالي. أشار مدنيٌ ملثم من الواضح أنه مخبِر إلى مؤمن. ثم أخذه الجنود معهم.“

وجدنا فامِدا في منزلها، جاثية ركبتيها. أخبرتنا أنها ذهبت في صباح اليوم التالي للمداهمة إلى قاعدةٍ لقوة شرطة الاحتياط المركزية، حيث احتُجِز ابنها. قال لها إنه تعرض للضرب. قالت: ”لقد توسلت إليهم أن يعيدوه إليّ، لكنهم لم ينظروا في الأمر“. وعندما عادت فامِدا في اليوم التالي، أخبرها الشرطة أن مؤمن نُقل إلى السجن المركزي بالمدينة. لكن الحراس قالوا إنه نُقل إلى سجن في ولاية ‘أوتار براديش’، الواقعة على الجانب الآخر من البلاد. أخبروها: ”لا فائدة من البكاء يا خالة“.

قالت فامِدا إنهم لم يخبروها بالتهم الموجهة ضد مؤمن. يَسمَح قانون مكافحة الإرهاب الهندي لقوات الأمن باحتجاز أي كشميري لأي سبب أو حتى بدون سبب لمدة تصل إلى عامين. خلال العقود الثلاثة التي مرت بها كشمير في تمرد صريح اختفى عشرات الآلاف من الرجال، والكثيرون لم يرجعوا. قالت: "يجب أن أقبل أنني لن أراه مرة أخرى".

في منزل فامِدا تجمعت صديقاتها حولها، بينما وقف رجال من الحي خارج النوافذ المفتوحة. جلست رنا أيوب قبالتها وقد تلامست ركبتاهما. بينما كانت فامِدا تتكلم، كان بعض الرجال يتكلم عنها، وفي كل مرة كانت رنا أيوب تقول لهم أن يصمتوا: "لا توبخها يا عم، لديها ما لديها من مشاكل".

بدأت فامِـدا محافظة على صبرها، لكنها فقدت رباطة جأشها تدريجياً. أمسكت رنا أيوب بيديها وقالت: "ابنك سيعود إليك. الله كبير". لم يواسِ ذلك فامِدا. لقد كان مؤمن عامل بِنَاء، وكان يغطي احتياجات الأسرة بأكملها، ومن ضمنها دواؤها لمرض الكلى الذي تعاني منه. بدأت أفكار فامِدا تخرج متقطعة: "لقد أخبرتُه.. لا ترمِهم بالحجارة.. أخذه أحدهم.. شخص ما قد قُبِّض مالاً.." ثم بدأت تنشج وتتنهد. بدأت رنا أيوب في البكاء أيضاً. قالت: "لا أستطيع تحمل المزيد. هذا كثير للغاية."

ودَّعت رنا أيوب فامِدا، ووعدتها بالعودة ومعها دواء الكِلى. (بعد بضعة أسابيع، فعلت ذلك). لقد كان يتملَّكنا شعور بالخطر.. أننا كنا نشهد بداية شيء سيستمر لسنوات عديدة. قالت رنا أيوب: "أشعر بهذا لكوني مسلمة. هذا يحدث في كل مكان في الهند."

مضينا بصمت لفترة من الوقت. اقترحْتُ عليها أن الوقت ربما قد حان لمغادرة الهند.. أن المسلمين ليس لهم مستقبل هناك. لكن رنا أيوب كانت تراجع دفتراً.. قالت: "أنا لن أغادر. لا بد لي من البقاء. سأكتب كل هذا وأقول للجميع ما حدث."



فصول أفغانية من فن التجسس

أحمد الحمدان

فرغت من كتاب (فن التجسس) لهنري كرامبتون، وهو كتاب متعدد الوجوه، يستفيد منه المهتم بقضايا الأمن، والسياسة، والعسكرية، والبيروقراطية وأثر القطاع الخاص والتكنلوجية على المجال الأمني في المستقبل.

وقد كتب الأستاذ أحمد مولانا مقالًا في عدد سابق من مجلة (كلمة حق) عن جزئية قد ارتآها، وهي (ثغر شاغر) في ترجمة الكتب والمراجع الأمنية التي لم تترجم إلى العربية حتى الآن.

وأنا لن أتكلم عن كل النقاط التي تستحق أن تُعرض في هذا الكتاب؛ بل سوف أحصر الكلام في الغالب عن لب الكتاب وقضيته الأبرز، وهو الغزو الأمريكي لأفغانستان إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

يقع كتاب (فن التجسس) لهنري كرامبتون في (**٣٨٩**) صفحة من ترجمة وطباعة: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

الكتاب كتبه قائد العمليات في وكالة الإستخبارات المركزية (CIA)، والذي انتهى بهِ المطاف كمنسق في وزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الإرهاب.

تأتـي أهميـة هـذا الكتاب كون المؤلف هو قائد العمليات في وكالة الاستخبارات المركزية أثناء الغزو الأمريكي لأفغانستان، وأن الكتاب تقريباً كله يتمحور حول مكافحة الإرهاب ودوره الميداني في ذلك.

وهنا لا ننسى أمرين، **الأول**: أن غالبية كتب الاستخبارات التي كتبها الضباط المتقاعدون باهتة بلا طعم، وسبب ذلك ما ذكره الصحفي ستيفن غراي في مقدمة كتابه "أسياد الجاسوسية" إذ قال موضحاً النقطة التي يتميز بها كتابه: (قد حاولت المحافظة على المسافة التي تفتقر لها معظم المنشورات الرسمية أو الكتب التي ألفها جواسيس متقاعدون، والذين -وإن لم يقروا بذلك- عليهم أن يسلّموا نصوص كتبهم لتوافق عليها أجهزة الاستخبارات).

وطبعاً هنري كرامبتون لم يكن من الذين لم يقروا بذلك بل أقروا بذلك في خاتمة كتابه فقال أن: (أعضاء مجلس مراجعة المنشورات في وكالة الاستخبارات المركزية قد أخطأوا في بعض ما حذفوه).

لذلك تراه لا يُعيّن أسماء الدول عندما يذكر حوادث الجاسوسية، فيكتفي بالوصف العام؛ (في دولة أفريقية حصل فيها تمرد) ثم لو محّصت الدول لوجدت أن غالبية الدول حصل فيها تمرد مما يُضعف من شأن هذه الرواية التاريخية.

ثم أصبح الكلام في الكثير من الأحيان يدور عن الإجراءات البيروقراطية من لقاءات واجتماعات ومناصب ونحوها من أمور. أي يمكن استنباط تاريخ اتخاذ القرارات وكيف حصلت. أكثر من الكلام عن العالم الخفي كما هو الحاصل في فصول أفغانستان.



الثاني: تلميع صورة وكالة الاستخبارات المركزية، يشتكي هنري من أن هنالك هجوماً أو صورة نمطية مغلوطة عن دور الاستخبارات في الذهنية الأمريكية، وأن هذه الصورة وإن تحسنت بعد الحادي عشر من سبتمبر إلا أنه ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه، ولا ننسى أن هنالك كتباً أيضاً أسهمت في رسم تلك الصورة مثل كتاب (إرث من الرماد) لتيم واينر، وقد قال ستيفن غراي عنه: (فقد أثار هذا الكتاب الذي يصف عقوداً من العثرات والإخفاقات الدموية، والنشاطات ذات النتائج العكسية- حنقاً في وكالة الاستخبارات المركزية التي أعلنت في بيان نادرٍ، إن لم نقل لم يسبق له مثيل بشأن الكتاب عن الوكالة أن واينر قد شوَّه التاريخ بشكل متكرر: "مدعوماً باقتباسات انتقائية، وتأكيدات شاملة، وافتتانٍ بالسلبيات، تغاضى واينر عن إنجازات الوكالة أو قلل من شأنها أو شوهها").

فكان من الطبيعي أن يخرج من رحم هذه المؤسسة من ينافح عنها ويدفع بهذه الصورة؛ ولو أظهر شيئاً من المثالية النرجسية!

فقد أعلى المؤلف من شأن وكالة الاستخبارات المركزية مقابل غيرها من الوكالات الاستخباراتية في أمريكا، فمثلًا مما ينقمه على مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) أن تلك الأخيرة بسبب عملها تحت وزارة العدل؛ جعلت عملها متلازماً مع إثبات الأدلة وإدانة الجاني، ويصبح عملها الاستخباراتي مترادفاً مع هذه المعاني التي رأى فيها أنها تُقيّد من العمل الخفي وتجعله أكثر محدودية، وقد ذكر أنه عمل على سبيل الإعارة مع مكتب التحقيقات الفيدرالي (فقد كانت أجهزة الاستخبارات الأمريكية تعير أفرادها إلى بعضهم البعض من أجل كسب الخبرة)، وذكر وجوه من المقارنة بين الوكالتين وحصرها في عشر فوارق في الصفحات (**١٣٨-١٣٧-١٣٦**).

كما أنه غض الطرف عن الأخطاء والجرائم التي فعلتها الوكالة تحت إمرته، ففي فصل (العمليات في أفغانستان) يزعم أن من خلال ما اتخذ من إجراءات وتطور جاسوسي تمثل في ما أسموه بـ(الصندوق السحري) الذي يقول هنري عنه إن (ببعض نقرات على المفاتيح يمكن عرض مواقع العدو مع طبقة تظهر كل الطرق في مقاطعة محددة، تتبعها طبقة أخرى للإحداثيات الدقيقة لمصدرنا مع طبقة أخرى للخريطة الطبوغرافية. وبلغت تركيبات الطبقات العشرات. وتمكن "كِنْ" وفريقه في مآل الأمر من احتساب وعرض مئات التركيبات، وكل ذلك يتوقف على المعلومات التي نغذي بها النظام وعلى ما نريد، وقد ساعدنا النظام على إدارة المعطيات ووفر لنا قدرة على المشاهدة في الوقت الفعلي. وبات في وسعنا إلقاء نظرة على الخريطة الإلكترونية لنعرف الوضع على الفور).

ومع أمور أخرى مثل تمكين الأفغان المتعاونين مع الأمريكان على تحديد الإحداثيات بشكل دقيق وتعديل الأجهزة لتصبح سهلة الاستخدام.

وذكر أنه أعطى أوامر بحماية بعض المنشآت من القصف كالمساجد وغيرها، ولكن الذين كانوا هناك وكانوا شهود عيان، رأوا أن القصف لم يكن دقيقاً بالصورة المثالية التي صورها المؤلف في كتابه، بل كان عشوائياً ومحا قُرى من

وجه البسيطة، ويذكر القائد الميداني عبد الله العدم أسباب انحيازهم من آخر معقل للطالبان في أفغانستان فيقول:

(بعد ذلك بدؤوا يستهدفون الناس مما أدى إلى خروجنا من أفغانستان وانسحابنا إلى الجبال والانحياز؛ حتى لا يؤثر ذلك على قتل المسلمين في أفغانستان؛ لأن الأمريكان بدؤوا يقصفون في قندهار عشوائياً، ويستهدفون البيوت، والناس، وضربوا الأسواق، حتى المستشفيات لم تسلم منهم؛ فآثر المجاهدون بأمر أمير المؤمنين الانحياز إلى الجبال في أفغانستان حفاظاً على أرواح المسلمين).



فلم يناقش المؤلف هذه القضايا في كتابه واكتفى بأن القصف استهدف أرتال عسكرية للعدو، وكان القصف دقيقاً!

ولكن لماذا يُناقش مثل هذه الأمور؟ أو حتى يحاول تبريرها؟ لأنه لا يرى اعتباراً لآلاف القتلى ممن سوف يقعون في هذه الحرب، ودليل ذلك حواره "ماسي" قبل بدأ الحملة العسكرية على أفغانستان، وقد دار على النحو التالي كما في الصفحة ٢٥٦:

(انتحى بي ماسي جانباً وسألني: ”هل أنت مرتاح لهذا؟“

أنا مرتاح لهذا؟ ماذا يعتقد؟ انتظرت سنوات للقيام بهذا، حان الوقت الآن وليس لدينا وقت نضيعه بنقاش فلسفي متوتر.

فقلت بفظاظة: ”أنا أكثر من مرتاح يا جون“.

أمسك بذراعي وابتسم ”أنا لا أسأل عن العدو، بل عنك، هل جهزت نفسك لواقع أننا سنتحمل مسؤولية موت الآلاف؟“

فقلت بفحيح: ”يستحقون ذلك!“).

وفي فصول أفغانستان، ترى أنه أكد على نقطة مركزية أو جوهرية في الحملة العسكرية، أنه لا قيمة للجهود الأمريكية العسكرية من دون وجود عملاء وخونة في الجوار، ولم يفتأ هنري يُكرر هذا المعنى.

●● **مثلًا تراه يقول:** (ركزت على حلفائنا الأفغان وقد علمت أنهم سيشكلون مفتاح النصر. فوحدهم يعرفون طبيعة الأرض، ووحدهم يمكنهم تجنيد أفغان آخرين للانضمام إلينا، ووحدهم يستطيعون اختراق الطالبان على كل المستويات، ووحدهم يستطيعون التحرك على الفور. فالجيش الأمريكي لا يعرف سوى القليل عن أفغانستان لأنها لم تشكل تهديداً تقليدياً، وجيشنا تقليدي بشكل ساحق. ويحتاجون أشهراً عدة لتحريك قوة لا بأس بها. ولم يعدّ الفيلق شبه العسكري في وكالة الإستخبارات المركزية سوى دزينات قليلة، وليسوا جميعهم منسابين لهذه المهمة. واعتمدت قدرتنا على التحرك السريع على نجاح حلفائنا الأفغان).

وأضف إلى ذلك أن لدعم هؤلاء مكاسب أخرى فتراه يقول في موطن آخر:

(وأبلغت ”فهيم“ و”عارف“ أننا سنوفر راتباً شهرياً، ولكن لحاجاتٍ محددة

وتجهيزات فحسب، إضافة إلى تمويل إضافي للمساعدة في تجنيد الهاربين من الطالبان. وجاء رقمي أقل بكثير من الذي طلبناه لكنه كان كافياً. وهذا بالتأكيد أفضل من صرف مليارات الدولارات على القوات البرية الأمريكية بكامل قواتها، مما يوفر للعدو المزيد من الأهداف الأمريكية).



وقال عن القواعد العسكرية في الدول المحيطة بأفغانستان: (فمن شبه المستحيل خوض حرب من دون موطئ قدم في دوشانبي وطشقند في أوزبكستان). ص٢٧٢.

وذاكراً دور دول الخليج: (أدار الجنرال في سلاح الجو "مايك باز" وفريقه الذي ضم ممثلًا عن وكالة الاستخبارات المركزية الحملة الجوية من مركز قيادتهم في إحدى بلدان الخليج الفارسي) ص243.

●● ولم يقتصر دول الخليج على الجانب الجوي فقط، بل يذكر الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش في مذكراته (قرارات مصيرية -ص٢٤٨) جانباً من إسهام الغواصات الأمريكية المستقرة في الخليج بقصف أفغانستان **فيقول عن بداية الحملة الأمريكية على أفغانستان:** (وكانت الغواصات الأمريكية والبريطانية في الخليج العربي قد أطلقت صواريخ توماهوك).

وقد كان لبعض هؤلاء الأفغان المتعاونين مع الولايات المتحدة، تخوفات، أنها يوماً ما تتفاوض مع الملا عمر، فلم يريدوا أن يكشفوا عن أنفسهم ويحرقوا أوراقهم، إن كانت أمريكا سوف تقوم بهذا، فأقاموا المجلس المحلي "الجيرغا" وقبل أن يعطوا موافقتهم على التعاون مع الأمريكان سألوا الأمريكان: "هل ستتفاوض الولايات المتحدة مع الملا عمر؟" فرد الضابط "غريغ" (قال رئيسي إما أن تكونوا معنا وإما أن تكونوا ضدنا. فكيف يمكننا التفاوض مع الملا عمر وهو لم يجلب لكم سوى الموت والمشقة؟ لن نفاوض هذا القاتل. سنحارب معكم حتى النصر)! فوافق هؤلاء الأفغان على التعاون.

مثل أمريكا (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ)، فالآن وبعد عقدين على هذا التعهد، نرى أن أمريكا تفاوض جماعة الملا عمر على الانسحاب، وعلى ترك هؤلاء الخونة ليلاقوا مصيرهم، بعد أن أضاعوا الدنيا والدين.

على العموم هنري كرامبتون نفسه يقر أن أمريكا تخل بالكثير من اتفاقياتها والتزامتها فيقول إنه أثناء نقاشه مع العملاء الأفغان بعد أن عرضوا عليه سؤال "هل يمكننا الاعتماد على الولايات المتحدة للوفاء بوعدها"؟ قال: (أغفلت الجزء المتعلق بالالتزام الأخلاقي؛ لأنهم شاهدوا على مر العقدين الماضيين الكثير جداً من الإخلال الأمريكي بالوعود)!

وتجاهل أمريكا لعملائها أو حتى نسيانهم بعد أن قدموا لها الغالي والنفيس، وليس بغريب، بل يحكي هنري نموذجاً من ذلك في كتابه، فأحد الجواسيس الأفارقة (قد خدم وكالة الاستخبارات المركزية بإخلاص وأنتج مئات التقارير) كما يقول هنري، ثم ماذا؟ ثم ذكر أنه توفى في ظرف غامض أثناء مروره على معبر حدودي مغبّر مهجور. ثم قال -وهذا هو الشاهد-: (وبالطبع فإن هذا البطل -العميل غير المعروف للعالم قد أصبح منذ زمن بعيد طي النسيان داخل وكالة الاستخبارات المركزية إلا من زوجين مشغلين ومني أنا. تلك هي طبيعة التجسس).

فطبيعة التجسس لدى أمريكا أنها تنسى من ضحوا لأجلها.

بل من الطرائف أن هنري كرامبتون يقول عمن يأتي إلى السفارات الأمريكية من أجل أن يعطيهم معلومات استخباراتية من أجل المال أو تأشيرة الدخول إلى أمريكا: (قلة منهم متطوعون صادقون يريدون الإسهام بفتات من المعلومات لقاء أموال نقدية أو تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. وكادوا جميعهم يغادرون وهم مصابون بخيبة الأمل).



هنا قسَّم القادمين إلى السفارات من أجل إعطاء المعلومات، وذكر أن غالبيتهم محتالون، ثم ذكر القلة القليلة الصادقة! ثم إن هؤلاء الصادقين في خدمة أمريكا قد خرجت النسبة الغالبة منهم بلا شيء!

وعوداً إلى "غريغ" الذي قال سوف نقاتل حتى النصر، ولابد من استراتيجية معينة لتحديد النصر من الهزيمة، وماذا عن الاستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب هل استطاعت أمريكا تحقيقها؟ يقول هنري كرامبتون: (أخفقنا في تحقيق الأهداف الاستراتيجية الثلاثة لمكافحة التمرد: "إلغاء زعامة العدو" و"حرمانه من الملاذ الآمن" و"تحسين الظروف التي يستغلها"). **ص٣٢٤**

ثم ذكر عظة "غريغ" في نفس المجلس حول ما كان يريد أن يرسخه في أذهان الأفغان، أنهم يقاتلون من أجل وطنهم ضد الدخلاء الأجانب مثل الشيشانيين والباكستانيين وغيرهم من المهاجرين، وأنه يجب أن تكون أفغانستان للأفغانيين.

فيقول: (على الأفغان أن يقاتلوا القاعدة. أليست هذه مسؤولية المحارب وواجبه وشرفه؟ هل يسمح الرجال الأفغان الحقيقون للدخلاء العرب والشيشان والأوزبك والباكستانيين العاملين تحت لواء القاعدة تحديد مستقبل أفغانستان؟ وكيف لا يمكنهم ألا ينضموا إلى الولايات المتحدة ضد هذا العدو المشترك؟ فالقاعدة غازٍ أجنبي اختطف بلادهم)!.

ألا يقوم بهذه المهمة على أكمل وجه بعض المحسوبين على المعارضة في سوريا؟ ماذا سوف يفعلون غداً لو عرضت عليهم أمريكا أو غيرها من القوى التعاون من أجل طرد هؤلاء الأجانب وتمكين السوريين من العودة والحكم وفق أجندات هذه الدول؟ قد يجد هذا العرض آذان صاغية بشكل كبير!

حسناً، تستطيع أن تحصر المتعاونين مع أمريكا في غزوها أفغانستان من القوى الداخلية إلى الشيعة الهزارة، **فترى هنري يقول عنهم:** (رحبت الهزارة وهي أقلية شيعية بالولايات المتحدة بامتنان وبالتزام عميق بالحرب).

والجبهة الموحـدة لتحالف الشمال فتراه يقول عن رئيس استخباراتهم المهندس عارف: (وقد عملنا معاً على مدار العامين الماضيين وتواصلنا بانتظام). وقد خصص لهم مرتبات كما تقدم معنا في النصوص السابقة، **ويقول عن قائدها أحمد شاه مسعود:** (احتجت زيارة إلى المنطقة ولقاء حليفنا وزعيم الجبهة الموحدة أحمد شاه مسعود، وقد سبق لنا أن أرسلنا في الأشهر الستة السابقة فريقاً إلى أفغانستان لمساندة مسعود والعاملين معه، ونحن نخطط لتوسيع هذا التعاون) وعين بعض الأسامي فقال: (عبدالرشيد دستم وهو أوزبكي، ومحمد محقق وهو من الهزارة الشيعة، وأستاذ عطا محمد وهو طاجيكي).

وإذا كانت قوات التحالف الشمالية مكونة من قوميات متعددة، فقد كانت المشكلة في القومية الأكثر والأبرز وهي البشتونية، فلابد من إيجاد موطئ قدم في جنوب أفغانستان معقل البشتون الأول، فلم يجدوا أفضل من كرزاي وقبيلته، **يقول هنري:** (وحده كرزاي تمكن بفضل قوة زعامته من ضمان تعاون قبيلته الأولى في تلك المنطقة. وقد رحبوا بفريق وكالة الاستخبارات المركزية والقوات الخاصة الصغيرة هذه ووفروا لها الحماية).



ذكر هنري حادثة ذات دلالة وهي أنهم وصلتهم رسالة عبر وسيط من رئيس استخبارات الطالبان "قاري عماد الله" للتفاوض، وافق هنري على ذلك مع وضع ثلاثة احتمالات، الأول هو أن يتعاون معنا ولا يكتفي بالكلام بل لابد أن يُبرهن على ذلك أو أن يقبل أن يكون مجنداً لصالح الأمريكان، والثانية اعتقاله والتحقيق معه، والثالث إذا لم يستطع اعتقاله قتله، واتفقوا على موعد ومكان محددين، ولم يأت رئيس الاستخبارات الطالباني عماد الله بل أوفد أحد أتباعه ولم يقبل لا بالتعاون ولا بالتجنيد، فأومأ المفاوض الأمريكي إلى القوات الأمريكية التي تدخلت واعتقلت المفاوض مع فريقه، وبعد التحقيق معهم اكتشفوا أماكن بعض القيادات، يقول هنري: (كشف السجين الطالباني في غضون 24 ساعة على أسره عن مواقع قيادة القاعدة والطالبان وغير ذلك من المواقع على امتداد الحدود الباكستانية)، فذهبت طائرة بلا طيار وقصفت تلك التجمعات الموجودة وقتل من بينهم رئيس الاستخبارات الطالباني القارئ عماد الله!

فمن أراد التفاوض مع الأمريكان في حالة الحرب لابد أن يضع اعتباراً لمثل هذه الحادثة وانعكاسها السلبي.

كما أن الأمريكان لا يقبلون بمجرد الكلام أو التعاون اللفظي بل لابد أن تبرهن لهم عملياً على التعاون، ولابد من رؤية الفعل والأمر به (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ) يقول هنري: (سألنا قادة الطالبان الذين شهدوا في الغالب نهاية رفاقهم: أترغبون بالموت أو بالمكافأة؟ اختاروا بشكل شبه دائم المكافأة. وطالبنا بما هو أكثر من مجرد كلماتهم. يجب أن يتجسسوا لنا، ويديروا بنادقهم صوب رفاقهم في القاعدة، بل وحتى خيانة قادة الطالبان الآخرين).

وأنا لا أصدق أن غالبية قادة الطالبان وافقوا على التعاون مع المحتل، ولكن أصدق أن أمريكا لا تكتفي بمجرد إعلان التعاون بل لابد من حيثيات ملموسة لتبرهن على تعاونك.

وكل حركة ذات أبعاد نضالية؛ لابد أن يتعرض قاداتها إلى شيء مماثل من هذا النوع، ولا بد أن يساومهم العدو ما بين التهديد والترغيب، والقادة الحقيقيون هم الذين يفضلون الموت على التعاون مع العدو، وعلى فقدان كل شيء إلا دينهم.

وذكر هنري في الكتاب أمراً آخر، قد تفوقت فيه الدول العربية على الدول الغربية وهو مكافحة الجهاد وأهله، وأن ضباط وكالة الاستخبارات المركزية اضطروا أن يثنوا ركبهم لينهلوا من معين هذا الضابط العربي الذي بُعث خصيصًا لتدريسهم وتدريبهم، يقول هنري: (جمعنا فريقاً من الاختصاصيين ضم علماء نفس ومحلّلين ومجنّدين. وعرفت بعد التجربة الأولى أن شيئاً ما ينقصنا. احتجنا إلى خبرة أوسع وتجربة أكبر، وطلبت من جهاز عربي حليف أن يرسل لنا مدرباً. امعتض بعض من في الجهاز الخفي بما يعكس غروراً في غير مكانه بالنسبة إلى قدراتنا الذاتية. وحاججت بأننا دربنا أجهزة ارتباط في كل أنحاء العالم، فلماذا لا نستفيد من بعض من دربناهم؟ تكرم حليفنا العربي علينا بالموافقة وأوفد واحداً من أكثر ضباط مكافحة الإرهاب خبرةً لديه لتعليمنا ومساعدتنا في تطوير مناهجنا. فعلَّم مركز مكافحة الإرهاب عشرات من ضباط العمليات من كل أقسام الجهاز الخفي).

وأما بخصوص العلاقة المفترضة التي كانت ما بين القاعدة وصدام حسين والتي استخدمت بشكل أو بآخر لغزو العراق فيقول هنري عنها: (لم يوجد في ما جمعناه من استخبارات أو تحليل ما يورط العراق في هجمات الحادي عشر من سبتمبر. بل إن صدام حسين على العكس من ذلك، طاغية علماني لا يأنس أبداً بأيديولوجية القاعدة أو يعدها حليف مصلحة. وبالرغم من أن صدام إرهابي ويدعم مجموعات إرهابية، وبخاصة تلك التابعة للشبكات الراديكالية الفلسطينية، فإنه رأى في القاعدة تهديداً أكثر مما رأى فيها حليفاً. أضف إلى ذلك أن القاعدة نظمت ودربت وخططت لهجمات الحادي عشر من سبتمبر من أفغانستان وليس العراق).

وأما الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية مايك سبان الذي وفق شهادة وليد محمد الحاج في برنامج شاهد على العصر أنه قُتل على يد اليمني "مهند التعيزي" فقد تكلم هنري كرامبتون عنه باستفاضة تحت فصل فرعي (قلعة جانجي).

وفي ختام الكتاب تكلم هنري كرامبتون عن عمله رئيساً لقسم المصادر الوطنية، والذي يتخذ من القطاع الخاص جسراً للتجسس، يقول إن الكثير من المدراء التنفيذيين للشركات الأمريكية الكبرى متعاونين مع أجهزة الاستخبارات، ويتكلم عن أحدهم فيقول: (امتلكت شركته مكاتب في كل أنحاء العالم وفي وسع موظفيه الذهاب إلى أي مكان، وسيتوق أي شخص تقريباً إلى لقاء ممثلي شركته بسبب ما تحظى به نوعية عمله من شهرة وقوة مالية. وأدرك ما يستجلب ذلك من مخاطر عليه وعلى موظفيه ومستثمريه. لكنه اعتنقه لأن واجب يحتم عليه خدمة بلاده وحمايتها. وهو ممتن لأن وكالة الاستخبارات المركزية منحته هذه الفرصة في الإسهام. وهذا النمط سأعاينه المرة تلو الأخرى في سنتيْ رئاستي التاليتين للمصادر الوطنية).

لك أن تخمن ما هذه الشركة الأمريكية؟ فلذلك الشركات الأمريكية سوق خصب للتجسس والتعاون الاستخباراتي.

هذا ما بدا لي والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



أشكال الدعم المصري لمليشيات خليفة حفتر

”انفراد... أسماء القيادات المصرية التي تولت مسؤولية إدخال السلاح لمليشيات خليفة حفتر“

محمود جمال

مقدمة:

منذ وصول عبد الفتاح السيسي إلى سدة الحكم في مصر وهو يعمل على تغيير عقيدة الجيش المصري، وذلك منذ الانقلاب العسكري الذي قام به على أول رئيس مدني منتخب، الدكتور محمد مرسي، في ٣ يوليو ٢٠١٣ م.

فبعد أن كان العدو الأول للجيش المصري هو الكيان الصهيوني، أصبحت جماعات وحركات، وتحديداً حركات الإسلام السياسي، هي العدو الأساسي والمباشر للجيش المصري. هذا بالإضافة إلى أن السيسي منذ اللحظات الأولي للسيطرة على الحكم في مصر وهو يعمل على إجهاض ثورات الربيع العربي بشكل عام في المنطقة واصطف في المحور السعودي الإماراتي الذي يشاركه نفس الهدف.

كان خليفة حفتر قد أعلن في فبراير ٢٠١٨ خلال مقابلة مع مجلة ”جون أفريك“ الفرنسية، عن أسباب توافقه مع السيسي في الأهداف الاستراتيجية حيث قال: ”مواقفنا تقترب في الواقع، ووضع بلاده عندما وصل إلى السلطة مشابه لموقف ليبيا اليوم“. وتابع: ”عدونا الكبير، الإخوان المسلمون، يهددون بلداننا وجيراننا الأفارقة والأوروبيين على حد سواء“.[١]

أولاً: الإمداد بالسلاح

منذ أن بدأ خليفة حفتر عملية الكرامة في منتصف عام ٢٠١٤ م في ليبيا، ظهر جلياً مدى التعاون والتقارب العسكري بين مصر والقوات التابعة لخليفة حفتر، وتنوع الدعم المصري ما بين التدريب والإمداد بالسلاح وحتى دخول قوات مصرية للمشاركة في العمليات العسكرية على الأرض، بالإضافة إلى القيام بضربات جوية بمشاركة القوات الإماراتية في داخل الأراضي الليبية في مناطق الشرق والغرب والجنوب الليبي.

ففي شهر مارس من عام ٢٠١٥ م، كشف تقرير للأمم المتحدة عن عمليات تهريب سلاح إلى ليبيا قامت بها مصر والإمارات، كما اتهم التقرير القوات التي يقودها خليفة حفتر بتعقيد عملية الانتقال السياسي وزيادة المشكلات الأمنية في البلاد. وتحدث التقرير المطول عن عمليات تهريب سلاح لا تشمل نقل الذخائر والسلاح فقط، بل بتحويل طائرات مقاتلة مصرية إلى ليبيا أيضاً. وبخصوص انتهاكات حظر الأسلحة، قال التقرير إن الإمارات صدّرت بشكل غير مشروع أسلحة إلى ليبيا وإنهم تلقوا معلومات تفيد بأن أبو ظبي نقلت عتاداً عسكرياً إلى مدينة طبرق شرق البلاد أواخر عام ٢٠١٤ م. كما أكد التقرير إدخال طائرات حربية تعود ملكيتها لمصر في سلاح الجو الليبي، لكن معالمها أُخفيت عن عمد. وأشار التقرير إلى أن مصر قدمت الدعم العسكري لعملية الكرامة، ومجلس النواب المنحل في طبرق.[٢]

---

[١] حفتر في القاهرة... رسائل لقاء السيسي بالمشير، independent، تاريخ النشر ١٤ أبريل ٢٠١٩ م، الرابط

[٢] تقرير أممي: مصر والإمارات هربتا أسلحة إلى ليبيا، الجزيرة نت، تاريخ النشر ٠٦ مارس ٢٠١٥ م، الرابط

وطبقاً لمصادر عسكرية مطلعة من الجانبين المصري والليبي، فإن الجيش المصري منذ مايو ٢٠١٤ م يقوم بنقل معدات عسكرية مصرية الصنع وإمارتية الصنع منها الثقيلة والخفيفة لصالح قوات خليفة حفتر، وكانت تلك المعدات تنقل أحياناً عن طريق الجو وأحياناً أخرى عن طريق البر من ناحية المنطقة الغربية العسكرية المصرية المتاخمة للحدود الليبية المصرية، وكان من مهام قيادات المنطقة العسكرية الغربية في مصر تأمين وتسهيل عملية انتقال المعدات العسكرية إلى الأراضي الليبية. وكانت من أهم القيادات التي تولت تلك مهام نقل المعدات العسكرية إلى ليبيا في الفترة من ٢٠١٤-٢٠٢٠، ما يلي:

(١) الفريق محمود حجازي رئيس أركان الجيش المصري ورئيس اللجنة المعنية بالملف الليبي الأسبق، ومستشار السيسي للأزمات حالياً.

(٢) اللواء محمد الكشكي مساعد وزير الدفاع للعلاقات الخارجية سابقاً، ورئيس اللجنة المعنية بالملف الليبي السابق.

(٣) اللواء عمر نظمي مسئول الملف الليبي في جهاز المخابرات العامة الحالي.

(٤) اللواء أركان حرب محمد المصري قائد المنطقة الغربية الأسبق ورئيس هيئة العمليات السابق.

(٥) اللواء أركان حرب وحيد عزت قائد المنطقة الغربية الأسبق.

(٦) اللواء أركان حرب شريف بشارة قائد المنطقة الغربية السابق ورئيس أكاديمية ناصر العسكرية الحالي.

(٧) اللواء أركان حرب صلاح سرايا قائد المنطقة الغربية الحالي.

(٨) اللواء أركان حرب محمد العصار رئيس هيئة التسليح الأسبق ووزير الإنتاج الحربي الحالي.

(٩) اللواء أركان حرب عبد المحسن موسى رئيس هيئة التسليح الأسبق.

(١٠) اللواء أركان حرب طارق سعد زغلول رئيس هيئة التسليح.



ثانياً: الدور المصري الحاسم في السيطرة على الشرق الليبي:

"في ١٥ أكتوبر من عام **٢٠١٤م**، وبعد شهور قليلة من بداية عملية الكرامة في ليبيا قالت وكالة أنباء أسوشيتد برس نقلاً عن مسؤولين مصريين، لم تسمهما، إن طائرات حربية مصرية قصفت مواقع لمسلحين إسلاميين بمدينة بنغازي الليبية، لكن الرئاسة نفت صحة التقرير، بحسب الناطق باسمها السفير علاء يوسف. وأضاف المسؤولان أن استخدام الطائرات الحربية جزء من عملية تقودها مصر ضد مسلحين، يشترك فيها قوات برية ليبية. ولفتت أسوشيتد برس إلى أن البرلماني الليبي طارق الجرشي "أكد" لها اشتراك طائرات حربية مصرية في العملية المستمرة في بنغازي، لكنه استدرك أن طيارين ليبيين هم من يتولون قيادة تلك الطائرات.[٣]"

- وكانت صحيفة نيويورك تايمز قد نقلت في أغسطس من عام ٢٠١٤ م، عن أربعة مسؤولين أمريكيين بارزين قولهم إن مصر والإمارات تعاونتا لتنفيذ جولتين من الضربات الجوية، ضد مسلحين إسلاميين في ليبيا يستهدفون السيطرة على طرابلس.[٤]

---

[٣] أ.ب: طائرات مصرية تقصف مواقع للإسلاميين في ليبيا، ترجمة مصر العربية، تاريخ النشر ١٥ أكتوبر **٢٠١٤م**، الرابط

[٤] أنظر رابط ٢

هذا بخلاف الضربة الجوية التي نفذتها القوات الجوية المصرية بعد إعدام عناصر مسلحة لبعض المصريين داخل ليبيا في ١٦ فبراير ٢٠١٥ . وقالت مصادر " إن الضربات الجوية تمت وفق تنسيق أمني ومعلوماتي بين مصر وليبيا، حيث حددت المخابرات الحربية المصرية مواقع لتنظيم الدولة والأهداف وصورتها جواً وقامت الطائرات والمقاتلات "إف 16" بالإقلاع من مطار سيدي براني غرب القاهرة، ثم وصلت إلى مطار مطروح، الذي انطلقت منه إلى الأهداف المطلوبة، حيث ضربت مواقع تنظيم الدولة ومخازن السلاح ومواقع للذخيرة إضافة إلى مَزارع كان يتجمع فيها عناصر التنظيم، فضلاً عن منطقة تسمى غابة "بومسافر".[٥]

وفـي سيـاق آخـر، كشف مصدر عسكري من قوات "فجر ليبيا" الموالية لحكومة الوفاق عن وصول تعزيزات عسكرية لقوات حفتر خلال عام ٢٠١٤م. كمنح من مصر والإمارات والأردن.

الدعم المصري الإماراتي كان منذ اللحظة الأولي يركز على حسم وسيطرة حفتر على المنطقة الشرقية بالكامل ولكن المعارك على الأرض كانت لا تشير إلى أن حفتر قادر على الحسم العسكري وفي عام ٢٠١٧ م، كاد حفتر ان يتراجع بشكل كبير بعد سيطرته على معظم الأراضي الشرقية التي يقيم بها ٢٥ % من السكان الليبيين على عكس الغرب الذي يقيم فيه حوالي ٧٥% من السكان؛ ولكن بدخول مصر والإمارات وروسيا بشكل أكبر على خط النار، بشكل مكثف، وقيام طيران إماراتي روسي بشن هجمات مكثفة على مواقع الجماعات المسلحة المقاومة لحفتر ، كان ذلك عاملاً حاسماً لقوات حفتر للسيطرة على الأراضي الشرقية بشكل كامل. وجدير بالذكر أن هجمات الطيران الإماراتي والمصري تنطلق من قاعدة سيدة براني المصرية المتواجدة في المنطقة العسكرية الغربية.

[٥] تفاصيل العملية العسكرية المصرية ضد "داعش" بليبيا، العربية نت، تاريخ النشر ١٦ فبراير ٢٠١٥م، الرابط



أعلن حفتر في ٠٦ يوليو ٢٠١٧ م عن التحرير الكامل لمدينة بنغازي،[٦] وذلك بعد ثلاث سنوات من إطلاق عملية الكرامة العسكرية في منطقة الشرق الليبي المتاخمة للحدود المصرية الليبية. ونقلت مصادر خاصة عسكرية ليبية مطلعة ان قوات حفتر قتل منها حوالي ١٥ ألف قتيل في تلك المعارك، وجدير بالذكر ان عدد القوات التي كانت تواجهها قوات خليفة حفتر كان لا يتعدى الــ ٦٠٠ مسلح. استطاع حفتر حسم مدينة بني غازي ليس فقط بالمعارك البرية التي كانت متواجدة على الأرض ولكن كان الحسم الفعلي هو عن طريق الضربات الجوية التي نفذها الطيران المصري بمشاركة الطيران الحربي الإماراتي والذي كان يتخذ من قاعدة سيدي براني الجوية المصرية المتواجدة في الاتجاه الاستراتيجي الغربي غرفة عمليات عسكرية لتنفيذ المهام الجوية على الأراضي الليبية. وهنا يجب الإشارة الي نقطة هامة وهي:

●● في شهر فبراير من عام ٢٠١٧ م، أي قبل إعلان حفتر عن تحرير مدينة بني غازي بشهور قليلة نشر موقع Freedom of Writing تقريراً مُدعّماً بصور تم التقاطها عن طريق الأقمار الصناعية تُظهر "عمليات توسعة" في قاعدة عسكرية قال إن السيسي بَنَاهَا على الحدود الليبية لدعم "حفتر"، وأنها ساعدت "التحالف الوطني الليبي" بقيادة "خليفة حفتر" على مواصلة طريقه في الحرب الليبية لتثبيت أقدامه. هذه القاعدة الجوية قيل إنَّ مقرّها، في مصر، على بعد ٤٥ كلم من الحدود مع ليبيا، وعلى بعد ٤٥ كم في شمال واحة سيوة،

[٦] حفتر يعلن سيطرة قواته على بنغازي بالكامل، الجزيرة نت

ومساحتها ٤٥ كيلو متر مربع، ومَحميّة بشكل جيد بحواجز محيطة بها. ويمكن رؤية بعض التفاصيل مع صور القمر الصناعي، أبرزها أن البنَى التحتية "تستوعب الوحدات العسكرية المصرية أو القوات الأخرى". وبجانب عمليات بناء طرق ومسارات، تُظهر الصور وجود ما لا يقل عن ثلاث طائرات بدون طيار بحسب صور أخذتها الأقمار الصناعية ٢٣ فبراير ٢٠١٧، في حين أن لقطة أخرى يَرجع تاريخها إلى ١ مارس ٢٠١٧ كانت لا تَظهَر فيها هذه الطائرات، ما يَطرح تساؤلاً حول ما إذا كانت تلك الطائرات بدون طيار قد استُخدمت في ضرب قوات "سرايا ليبيا" ودعم قوات "حفتر". ففي ذلك الوقت أعلن مجلس شورى ثوار بنغازي، أن "طائرة أجنبية" استهدفت مقاتليه في منطقة "قنفودة"، وأن طائرات من أنواع أخرى هليكوبتر كانت تُحلّق فوق منطقتي "صبري" وسوق الحوت" في "بنغازي"، لا يُعرَف لمن ترجع ملكيتها. وقال مصدر يقاتل إلى جانب سرايا الدفاع عن بنغازي في "الجفرة": إن طائرات مصرية - غير معروفة النوع - شاركت في الهجوم؛ لاستعادة مرافق النفط التي نفذتها قوات حفتر. كذلك أظهرت صور أخرى طائرات الهليكوبتر نوع «مي 17-» أمام حظائر في شمال غرب القاعدة الجوية المصرية الجديدة، بتاريخ ٢٣ (فبراير) ٢٠١٧ و١ (مارس) ٢٠١٧.[٧]

الصورة الأولي ٢٣ (فبراير) ٢٠١٧:



[٧] مصر تطورات المشهد العسكري ٣٠ أبريل ٢٠١٧، محمود جمال، الرابط

الصورة الثانية: ١ مارس ٢٠١٧ :



في تلك الأثناء، كان حفتر وقواته يعانون في مواجهة المسلحين المتواجدين في مدينة درنه الليبية التي كان يتواجد بها مجموعات من الفصائل العسكرية وعلى رأسهم مجلس شورى مجاهدي درنة المضادة لخليفة حفتر وشهدت مدينة درنة معارك شديدة في قوات حفتر والمسلحين المتواجدين في مدينة درنة.

فاستغل النظام المصري الحدث الذي وقع يوم الجمعة الموافق ٢٦ مايو **٢٠١٧م**، بعد مقتل مجموعة من الأقباط في محافظة المنيا أثناء توجههم إلى دير الأنبا صموئيل قيل إنه كان على يد أفراد من تنظيم الدولة الإسلامية، فأعلن عبد الفتاح السيسي عن أن القوات المصرية قامت بتوجيه ضربة لأحد المعسكرات التي يتم فيها تدريب هذه العناصر في درنة، وقال إن مصر لن تتردد في توجيه ضربات ضد معسكرات الإرهاب في أي مكان، سواء في الداخل أو الخارج، وأضاف إنه يجب معاقبة الدول التي تدعم الإرهاب وتقدم له المال والسلاح "من دون مجاملة أو مصالحة".[٨]

---

[٨] أبعاد العدوان العسكري المصري على ليبيا، محمود جمال، الرابط

بعد انتهاء السيسي من خطابه أعلن سلاح الجو المصري أنه شن غارات على ما أسماه "معسكرات إرهابية في ليبيا" من قبل طائرات من طراز الرافال، وأضاف أن الغارات دمرت المركز الرئيسي لمجلس شورى مجاهدي درنة، وبثت وزارة الدفاع المصرية صورا لطائرات حربية وقت الإقلاع في إحدى القواعد الجوية قالت إنها التي وجهت ضربة إلى "معسكرات إرهابية" في ليبيا. وفي نفس السياق، أعلنت القيادة العامة لميليشيات "حفتر" أن ضربات الجيش المصري في درنة كانت بالتنسيق مع سلاح الجو التابع لها بقيادة العميد صقر الجروشي. فيما أكدت مصادر أن الغارات المكثفة التي شنها سلاح الجو المصري كانت بمشاركة سلاح الجو الليبي على مدينة درنة شرق ليبيا، كانت تمهد لعملية برية ليبية أوسع ضد الجماعات "الإرهابية".[٩]

●● وفي المقابل، قالت مصادر عسكرية بمجلس شورى مجاهدي درنة شرقي ليبيا أن طائرات حربية قصفت منطقة الفتايح شرق درنة، واستنكر مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها قصف سلاح الجو المصري لمواقع آهلة بالسكان في مدينة درنة شرقي ليبيا، وأكد المجلس في بيانه أنه لا علاقة له بما حدث في مصر من اعتداءات على المدنيين العزل في المنيا.

وجدير بالإشارة هنا أنه قبل القصف المصري على مدينة درنة وفي **١٧** مايو **٢٠١٧** م، قام رئيس أركان الجيش المصري السابق الفريق محمود حجازي ورئيس اللجنة المعنية بمتابعة الشأن الليبي سابقاً بأول زيارة له الي الداخل الليبي، حيث زار الفريق محمود حجازي مدينة بنغازي شرقي ليبيا والتقى بخليفة حفتر، حيث ذكرت وكالة الأنباء الليبية في بنغازي، أن "وفداً يضم رئيس أركان الجيش المصري الفريق محمود حجازي ومدير المخابرات الحربية اللواء محمد الشحات جاء لتقديم التهنئة بمناسبة الذكرى الثالثة لثورة الكرامة التي انطلقت لتحرير البلاد من قبضة الجماعات الإرهابية المتطرفة". ونقلت الوكالة عن مصادر عسكرية ليبية أن طائرة عسكرية خاصة حطت في مطار بنينا

---

[٩] القيادة العامة للجيش الليبي : ضربات الجيش المصري في درنة كانت بالتنسيق مع سلاح الجو الليبي، وكالة سبوتنيك، تاريخ النشر ٢٦ مايو **٢٠١٧م**، الرابط

الدولي ببنغازي وعلى متنها الوفد الذي اتجه على الفور إلى مقر القيادة العامة في منطقة الرجمة.[١٠] ولذلك يرى البعض أن الضربة العسكرية التي قامت بها القوات الجوية المصرية كان معداً لها مسبقاً وبترتيب وبتنسيق بين الجانب المصري وميليشيات حفتر ، وبرز هذا التنسيق في زيارة الفريق محمود حجازي إلى بني غازي ولقائه بحفتر قبل الضربة بعدة أيام.



في تلك الأثناء، كانت القوات التابعة لخليفة حفتر تحاول التمدد في الجنوب الليبي، ولكنها قوبلت بمواجهة شرسة من القوات التابعة لحكومة الوفاق. فمع بداية شهر مايو ٢٠١٧م، رأينا ان القوات الموالية لحكومة طرابلس وبعض من المجموعات المسلحة الأخرى أصبح لها أداء قوي وفعال وتحديداً في الجنوب الليبي، وأنها أصبحت تحقق مكاسب على الأرض وكانت آخر المعارك التي كبدت فيها تلك القوات للقوات التابعة "لحفتر" خسائر كبيرة كان الهجوم على القاعدة الجوية في الجنوب الليبي "براك الشاطئ" والذي نفذته القوة الثالثة التابعة لوزارة الدفاع في حكومة الوفاق الوطني، ومجموعات مسلحة أخرى، وكانت حصيلة القتلى من قوات" حفتر" في ذلك الهجوم ١٤١ شخصا.

[١٠] رئيس أركان الجيش المصري يزور بنغازي شرقي ليبيا للقاء حفتر، bbc، تاريخ النشر ١٧ مايو ٢٠١٧م، الرابط

فاستغل النظام المصري بمعاونة الطيران الإماراتي حادث حافلة المنيا لتوجيه ضربات في الجنوب كتغطية جوية لتمدد قوات حفتر في المناطق الجنوبية. لذلك لم تقتصر الهجمات المصرية علي ضرب مناطق في الشرق الليبي فقط في تلك الأثناء، بل امتد القصف إلي مناطق في الجنوب أيضاً، حيث قصفت طائرات حربية مصرية وإماراتية فجر يوم الأحد الموافق 28 مايو **٢٠١٧م**، مدينة هون جنوبي ليبيا وكشفت مصادر محلية ليبية أن طائرات حربية مصرية أو إماراتية ، أغارت على مواقع مدنية في مدينة هون بمنطقة الجفرة، انطلاقاً من مطار راس لانوف العسكري الذي تسيطر عليه قوات حفتر، وأضافت أن مخزن ذخيرة لقوات البنيان المرصوص التابعة لحكومة الوفاق الوطني "السراج" تعرض بدوره للقصف، مما أدى إلى انفجار الذخائر الموجودة في المكان المستهدف.[١١]

وبعد الضربة الجوية التي نفذتها القوات الجوية المصرية في مايو **٢٠١٧م**، قام الجيش المصري بإرسال قوات برية مصرية إلى الداخل الليبي، حيث قالت بعض المصادر العسكرية إن وحدة من القوات الخاصة المصرية وصلت بالفعل إلى معسكر لملودة بالقرب من مدينة درنة وشاركت في العملية العسكرية التي اقتحمت مدينة درنة. وأعلنت مصادر أمنية أخري وصول قوات خاصة من وحدات المظلات والاستخبارات العسكرية المصرية لمعسكرات القبة وشاركت أيضاً في العمليات العسكرية التي شنتها قوات خليفة حفتر على مدينة درنة.[١٢]

" يؤكد ذلك أيضاً ما قاله عصام الزبير المحلل السياسي الليبي، عن وجود قوات مصرية برية بمعسكر لملودة الليبي شاركت في الهجوم على مدينة درنة، مؤكداً أن شخصيات مقربة من حفتر أفصحت عن تلك المعلومات، [١٣] "

---

[١١] غارات جوية جنوبي ليبيا بعد قصف مصري لدرنة، الجزيرة نت، تاريخ النشر ٢٨ مايو **٢٠١٧م**، الرابط

[١٢] حفتر يحضر لعمل عسكري بري بدعم مصري و"الرئاسي" يحدد ٧ مناطق عسكرية، العربي الجديد، تاريخ النشر ٠٢ يونيو **٢٠١٧م**، الرابط

[١٣] عصام الزبير لـ"الشرق": قوات مصرية بمعسكر لملودة الليبي تستعد للهجوم على درنة، الشرق القطرية، تاريخ النشر ١٨ مارس **٢٠١٨م**، الرابط

جدير بالذكر أن عقيلة صالح رئيس ما يسمى بـ "مجلس النواب الليبي بطبرق" صرح قبيل عملية تحرير درنه ببعض التصريحات التي تؤكد المشاركة المصرية في تلك العمليات. حيث صرح "عقيلة" في تاريخ ١٢ فبراير ٢٠١٨ لإحدى الصحف المصرية المحسوبة على نظام السيسي بأنه سيتم قريباً تحرير مدينة درنة الليبية المتواجدة بالشرق الليبي وهذا سيكون بالتنسيق مع السلطات المصرية لأن العملية العسكرية التي ستنطلق تهم مصر كي لا تفر مجموعات إرهابية إلى الأراضي المصرية في ظل وجود متطرفين في درنة.[١٤]



جدير بالذكر أيضاً أن قاعدة محمد نجيب العسكرية المتواجدة في مدينة الحمام بالنطاق الاستراتيجي الشمالي للدولة المصرية تعتبر أهم قاعدة تدريبية تتلقى فيها قوات خليفة حفتر التدريبات العسكرية المتقدمة.[١٥]

ثالثاً: الدور المصري في معارك الغرب الليبي:

في شهر سبتمبر ٢٠١٤م، أي بعد بداية عملية الكرامة بشهور قليلة، أعلن المؤتمر الوطني العام في ليبيا أن لجنة التحقيق في حادثة القصف الجوي الذي تعرضت له العاصمة طرابلس في أغسطس ٢٠١٤م. قدمت تقريرها للمؤتمر

[١٤] رئيس البرلمان الليبي: سيف الإسلام القذافي في الزنتان.. نثمن دور مصر في إعادة إعمار ليبيا.. عقيلة صالح لـ"اليوم السابع": الدستور أولا ومصرون على إجراء الانتخابات خلال العام الجاري.. والسراج مفروض بـ"حكومة وصاية"، اليوم السابع، تاريخ النشر ١٢ فبراير ٢٠١٨م، الرابط
[١٥] قاعدة نجيب العسكرية: الأهداف الخفية، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

الوطني، وأكد التقرير تورط الإمارات ومصر في قصف طرابلس.[١٦] وفي سياق متصل، وتحديداً في ٢٣ أغسطس ٢٠١٨م، اتهمت قوات "فجر ليبيا" الإمارات ومصر بشنّ غارات جوية على طرابلس، فيما تمكّنت قواتها من السيطرة على مطار العاصمة. وقال متحدث باسم قوات "فجر ليبيا"، في بيان تلاه أمام صحافيين في طرابلس، إن "الإمارات ومصر متورطتان في هذا العدوان الجبان"، في إشارة إلى الغارات الجوية على طرابلس، كما اتهم الحكومة المؤقتة والبرلمان بالتواطؤ في الغارات.[١٧]

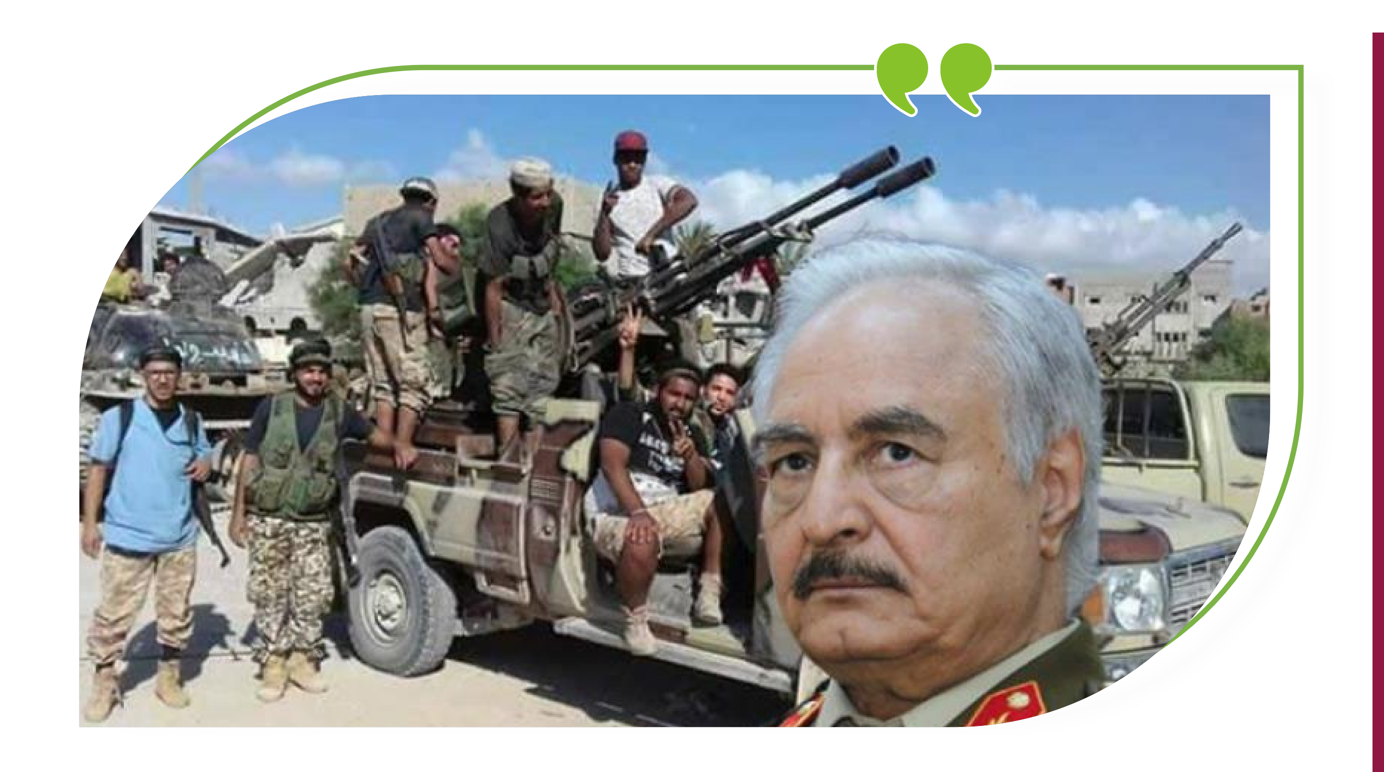
- بعد سيطرة حفتر علي أراضي المنطقة الشرقية بشكل كامل، أعلن بتاريخ ٠٤ أبريل ٢٠١٩م عن إطلاق عملية "طوفان الكرامة"، لتحرير العاصمة طرابلس ممن سماهم "الإرهابيين والمتطرفين". ولم يكن النظام المصري ببعيد عن تلك العملية أيضا؛ وما جاءت تلك العملية إلا بعد قرار مصري إماراتي فرنسي وبدعم كامل من تلك الدول.

أما بخصوص التدخل المصري الآن في المعارك الجارية في محيط العاصمة طرابلس، فإن الطيران المصري يقوم بعمليات استطلاع ورصد أهداف من خلال طيران الاستطلاع الحربي المصري؛ بل وكما نقلت مصادر أن الطيران الحربي المصري قام بشن غارات جوية على بعض الأهداف في محيط مطار طرابلس، بالمشاركة مع الطيران الحربي الإماراتي.

زيارة خليفة حفتر الأخيرة الى القاهرة واجتماعه بالسيسي جاءت لتنسيق العمليات الجوية التي يقوم بها الطيران الحربي المصري على بعض الأهداف في العاصمة طرابلس، بالإضافة إلى تهديد أهداف بعينها تشارك فيها الطائرات الحربية الإماراتية المتواجدة في القواعد العسكرية المصرية وداخل الأراضي الليبية.[١٨]

---

[١٦] لجنة تحقيق ليبية: الإمارات ومصر متورطتان بقصف طرابلس، الجزيرة نت، تاريخ النشر 22 سبتمبر ٢٠١٤م، الرابط
[١٧] "فجر ليبيا" تتّهم الإمارات ومصر بقصف طرابلس، العربي الجديد، ٢٣ أغسطس ٢٠١٤م، الرابط
[١٨] وسائل إعلام مصرية: حفتر يزور القاهرة خلال ساعات، العربية نت، تاريخ النشر ٣٠ ديسمبر ٢٠١٩م، تاريخ الدخول ١٤ يناير ٢٠١٩م، الرابط



لم يتخذ النظام المصري إلى الآن قرار مشاركة القوات البرية المتواجدة في الغرب الليبي في المعارك البرية الدائرة الأن في العاصمة طرابلس، ولكن إطالة أمد المعركة قد تدفع النظام المصري إلى اتخاذ قرار بالمشاركة البرية كما فعل في حسم الأوضاع لصالح حفتر في المنطقة الشرقية، والذي جاء بعد ثلاث سنوات من المعارك في المنطقة الشرقية، واتخذ نفس الأسلوب الذي يتبعه الآن في معارك الغرب: مشاركة جوية أولاً، ثم مشاركة بقوات على الأرض. ولكن طبقاً للدور الوظيفي الذي يقوم به الجيش المصري، فإنه ينتظر القرار الدولي والإقليمي الذي يقوم بتوظيفه ويقرر له المشاركة في المعارك.

خلاصة:

التدخل العسكري المصري في ليبيا يندرج تحت الدور الوظيفي لمصر في الاستراتيجيات الأمنية الدولية في المنطقة، وأن النظام العسكري الحاكم في مصر يراهن على أهمية ومكانة الدور المصري، وتحديداً الجيش المصري، في القيام بهذا الدور بغض النظر عن توافقه أو تعارضه مع المصالح الوطنية المصرية، حيث لا يهتم فقط إلا بما يخدم استقرار واستمرار النظام.

يروج السيسي أن سياسته تجاه ليبيا هي سياسة استراتيجية تهدف لتعزيز الأمن القومي المصري وضمان عدم وصول مسلحين داخل مصر من ناحية الحدود الغربية لتنفيذ عمليات داخل الدولة المصرية قد تتسبب في هز أركان حكمه: ولكن من ناحية أخري، فإن سياسة السيسي تجاه ليبيا تأتي في سياق تعزيز أركان حكمه، من حيث ضمان عدم وصول الإسلاميين للحكم في ليبيا؛ ويشارك السيسي في ذلك النظام الإماراتي بقيادة محمد بن زايد والنظام السعودي بقيادة محمد بن سلمان.

لذلك فالسيسي والمحور الإمارتي السعودي الفرنسي الروسي يعملون على الحسم العسكري لصالح خليفة حفتر، ولا يرغبون في اي عملية سياسية تتيح لحكومة الوفاق اي تواجد داخل الدولة الليبية.

ختاماً:

تشهد الأوضاع الآن في ليبيا، ٢٠٢٠، تطورات عسكرية هامة على الأرض. حيث تتقدم ميليشيات حفتر مدعومة من مصر والإمارات وروسيا وفرنسا نحو العاصمة طرابلس وتحاول أن تحيط بالعاصمة من كل الاتجاهات، وهناك معارك "كر وفر" متكررة على طريق مطار طرابلس. ومن ناحية أخرى، تبدو قوات فايز السراج متماسكة، وإذا تم صد هذا الهجوم، فالتطورات على الأرض ستختلف. ومن وجهة نظري، أنه يجب أن تتحول قوات السراج من الدفاع إلى الهجوم، لأنها أفضل وسيلة الآن لقوات السراج حتى ترغم مليشيات حفتر على العودة إلى داخل أراضي الشرق الليبي مرة أخرى، وتتحول المعارك إلى المنطقة الشرقية؛ ولكن تبقى إمكانيات وقدرات قوات السراج العسكرية هي الحاكمة حتى يتم ذلك التحول في المعارك من الغرب إلى الشرق.

التدخل التركي إلى الآن محدود، فالدولة التركية أرسلت فقط العشرات من جنودها للداخل الليبي، بجانب بعض المساعدات العسكرية. ومن الواضح أنه لا

يوجد أي أفق للحل السياسي، وانسحاب حفتر مؤخراً من روسيا وعدم توقيعه على اتفاقية وقف إطلاق النار مؤشر لذلك، بجانب أن مليشيات حفتر كسرت اتفاق وقف النار الذي تم الإعلان عنه أثناء تواجد خليفة حفتر في روسيا. فالأمور تشير أننا بصدد تصعيد عسكري بشكل أكبر، بين مليشيات حفتر وقوات المجلس الرئاسي.



التوقيت الأن في غاية الأهمية؛ وإذا تأخر التدخل الفعلي بالشكل المناسب الذي يراه الجانب التركي، ربما تقع السراج وقواته في مأزق كبير.

فالجيش المصري والجانب الإماراتي الآن يقومان بإدخال مساعدات عسكرية بشكل أكبر لمليشيات حفتر؛ وقام الجيش المصري خلال شهر يناير ٢٠١٩م، بمناورة كبرى في الاتجاه الاستراتيجي الشمالي والاتجاه الاستراتيجي الغربي، "قادر ٢٠٢٠". ويقوم بحشد القوات بشكل مكثف الآن في نطاق هذين الاتجاهين الاستراتيجيين قريباً من الحدود الليبية، وهذا يشير إلى احتمالية التدخل العسكري البري للقوات المصرية في الداخل الليبي بشكل أكبر الفترة المقبلة، وربما تصريح عقيلة صالح رئيس ما يسمي بالبرلمان الليبي في طبرق أثناء زيارته الأخيرة إلى مصر يشير إلى ذلك أيضاً، فعقيلة صالح أعلن من داخل البرلمان المصري أنهم قد يضطروا لدعوة الجيش المصري للتدخل في ليبيا.[١٩]

---

[١٩] صور.. عقيلة صالح من منصة البرلمان: قد نضطر لدعوة الجيش المصري للتدخل في ليبيا، اليوم السابع، تاريخ النشر ١٢ يناير ٢٠١٩م، تاريخ الدخول ١٥ يناير ٢٠١٩م، الرابط



مادة حصرية

مذكرات الشيخ رفاعي طه (٢٣)

من مؤسسي الجماعة الإسـلامية المصـرية

سجلها عنه وحررها:
محمد إلهامي

حقيقة الصفقة بين السادات وبين التيار الإسلامي ضد اليسار

- قادتنا أفكارنا إلى الفكرة المجنونة: تكوين جماعة تكون بديلا عن الإخوان المسلمين
- كنا ندرس العقيدة الطحاوية وكتب الحنابلة وابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب
- نمو التيار الإسلامي في السبعينات كان رغما عن السادات

لمطالعة الحلقات السابقة اضغط هنا

إذا أردت أن ألخص نشأة الجماعة الإسلامية في سياق واحد، يجمع ما سبق أن فصَّلْتُ فيه، فسيكون كالآتي:

كانت المجموعة الأولى التي تشكلت منها نواة الجماعة الإسلامية من شباب يجد في نفسه إنسانا معارضا لهذا النظام المصري، وهم: صلاح هاشم وأسامة حافظ وحمدي عبد الرحمن وأبو بكر عثمان وناجح إبراهيم. ومن أبرز ما يدل على ما كان عندنا من المعارضة الجذرية لهذا النظام أن واحدا منا كان اسمه جمال عبد الناصر من شبرا فغَيَّرَ اسمه إلى: عبد الله عبد السلام نفورا من اسم عبد الناصر.

بحث هؤلاء الشباب عن طريق للعمل وتحقيق أحلامهم، فبدأ عملهم داخل جامعة أسيوط، التفوا في البداية حول دعاة التمسوا فيهم الإخلاص مثل الشيخ مصطفى درويش وعبد الله السماوي، ثم دعاة الإخوان المسلمين ممن كانوا يجوبون الجامعات مثل الشيخ الغزالي وكذلك الأستاذة زينب الغزالي رحمها الله، وغيرهما.

ثم حاولت جماعة الإخوان المسلمين احتواءنا لكنها لم تنجح، وكان لنا عليها مطاعن دينية تتعلق بعدم التزامهم عقيدة السلف الصالح وأن فيهم متصوفين، ومطاعن سياسية تتعلق بتهدئتهم مع نظام السادات ومحاولتهم احتواء الشباب كنوع من رد الجميل له لإخراجهم من السجون. وهذه الخلافات اجتمع فيها أننا كنا شبابا متحمسين قصيري النظر شديدي الحماسة مع طريقتهم الإقصائية الحادة التي تضيق مساحة التعاون فإما الهيمنة وإما المفارقة.

ثم نجحنا في الفوز بانتخابات اتحاد الطلاب، وكان قفزة واسعة في نشاطنا الدعوي بالجامعة، وفي ظل هذا النشاط الدعوي كانت هذه المجموعة تمثل قيادة للجامعة، ومن هنا استطاع هؤلاء الشباب أن يكونوا هم المهيمنين على الحالة الدعوية في جامعات الصعيد، مما دفع الأستاذ مصطفى مشهور فيما بعد أن يحاول مع قيادات الجماعة الإسلامية أن ينضووا مرة أخرى تحت لواء الإخوان، وذلك في صيف **١٩٧٨** أو **١٩٧٩**، لا أتذكر بالضبط، لكنه لم ينجح في إقناع هذا الجيل، حتى مع موافقة عدد قليل على العمل مع الإخوان مثل المهندس أبو العلا ماضي ومحيي الدين عيسى.

●● في ظل هذه الظروف كانت قناعاتنا تسوق إلى إنشاء جماعة جديدة، جماعة تلتزم بالعقيدة الصحيحة والهدي الظاهر، تناوئ السلطة وتستثمر حماسة الشباب وطاقتهم في معارضتها، تتجاوز جماعة الإخوان التي كانت قناعتنا وقتها أنها غير قادرة على حمل همّ الأمة.

بمقاييس ذلك الزمن، وقياسا إلى أعمارنا وخبراتنا كانت هذه فكرة أشبه بالمجنون، تحتاج إلى ثقة عظيمة في النفس، كما تحتاج عزما عظيما، وجهدا غير عادي، ولو

اطلع أحدُ على ما في نفوسنا وقتها لعدَّنا مجموعة مخبولة، ثلة طلاب في جامعة من الصعيد تريد أن تكون بديلا عن جماعة بحجم الإخوان المسلمين!!

بدأت النواة بصلاح هاشم وحمدي عبد الرحمن ورفاعي طه وكرم زهدي وأسامة حافظ وناجح إبراهيم، لكن التكوّن الفكري بالشكل السابق كان متمثلا بشكل أكبر في أسامة حافظ وصلاح هاشم والفقير إلى الله، بينما كانت للشيخ كرم زهدي نزعة جهادية، فهو أميل إلى ألا تكون الجماعة قائمةً على فكرة بقدر ما أنها تقوم على التغيير، والتغيير السريع، أي أنها جماعة ثورية!



وخلاصة الأمر أننا شرعنا في إنشاء جماعة على التصور السلفي وعلى العمل الثوري الذي يستهدف تغيير النظام.

عقدنا العزم على أن يكون أعضاء الجماعة الإسلامية أصحاب عقيدة صحيحة، عقيدة السلف الصالح، فشرعنا في دراسة العقيدة الطحاوية وتدريسها لأعضائنا، ولا بأس من التعريج على كتابي "التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه "فتح المجيد"، وفي الفقه لا بأس بدراسة كتب الفقه الحنبلي وإن كنا نميل في هذه المرحلة إلى كتب الفقه المقارن بصفة عامة، كنا نحاول أن نخط لأنفسنا خطًّا محددا بعيدا عن التجاذبات الموجودة عند السلفيين، الذين لم نكن راضين عن خطهم، وكنا نسميهم "صوفية الحركة الإسلامية"، أمثال الشيخ الدبيسي وأسامة عبد العظيم وغيرهم، وكان هؤلاء الأقرب إلينا، وكانوا هم سلفية القاهرة قبل أن يظهر الشيخ محمد عبد المقصود والمجموعات

التي صارت تُعرف بسلفية القاهرة، ففي السبعينات لم يكونوا قد ظهروا بعد. وكان أخونا سيد العربي يمثل تيارا أقرب إلى التيار التكفيري بمعنى أنه لا يعذر بالجهل ونحو هذه الأمور، وكنتُ في هذه الأفكار أقرب إلى الفكر الذي لا يجنح إلى التكفير، ومع هذا كنت قريبا من الشيخ سيد العربي ومن الشيخ ناجح في نفس الوقت، وحاولت بقدر الإمكان أن أقارب بينهم بحيث يستمر سيد العربي ضمن الجماعة الإسلامية، لكن لم أنجح في هذا، وخرج سيد العربي، لكن في ذلك الوقت لم يكن قد أصبح تيارا بعد، ورجع إلى شبرا وصارت له مجموعة داخل شبرا.

صار للجماعة الإسلامية تأسيس فكري قائم على العقيدة الطحاوية، لا يجنح إلى التكفير، وعملنا في مرحلة مبكرة جدا قبل أن ندخل إلى السجون، مجموعة رسائل صغيرة في مسألة "عدم العذر بالجهل"، وتصدينا لفكر التكفير الذي نشره شكري مصطفى، لأنها بدأت في أسيوط، وكنا نحذر الشباب من ذلك. وعلى المستوى الفقهي لم نكن نتبنى مذهبا فقهيا لكن كان المذهب الحنبلي أقرب إلى مدرسة أهل الحديث، التي كنا نستند إليها، فكنا ندرس كتب: المغني والكافي والعمدة، وجاء المغني في مرحلة متأخرة لاتساعه وطوله بينما كانت البداية بالعمدة والكافي. بالإضافة إلى كتب ابن القيم وابن تيمية، وهؤلاء الثلاثة: ابن قدامة وابن تيمية وابن القيم كانوا بمثابة المرجعيات العلمية التي ندرس كتبهم ونتتلمذ عليها ونقدمها، ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وفي هذا كله كنا مجتهدين بذاتنا، لم نقلد أحدا، وعندما شببنا عن الطوق وقررنا تكوين الجماعة الإسلامية بدأنا في بحث "الطائفة" في مرحلة مبكرة جدا، إلا أنه أخذ قيمته العلمية بعدما دخلنا السجن، وربما نأتي في سياق آخر للتعريف بهذه الكتب، لا سيما الكتب الثلاثة: "الطائفة" و"شحذ الهمة" و"الميثاق" التي كانت أهم إنتاج الجماعة الإسلامية وتمثل محاورها الفكرية فيما بعد، لكن لا نزال الآن في الشكل الهلامي للجماعة الإسلامية.

كذلك أقمنا لقاءً سميناه "لقاء الاثنين"، وبدأنا نجيب على سؤال: لماذا الجماعة الإسلامية؟ وبم تتميز؟ ولماذا فارقت الاتجاهات الإسلامية الأخرى؟ فشرعنا في

بيان هذا نرد على رؤية الإخوان المسلمين، ورؤية أنصار السنة المحمدية، ورؤية الجمعية الشرعية، ورؤية بقية الأطياف الإسلامية بحيث نبرر ونفسر لماذا وجدنا أنه من الضرورة إنشاء الجماعة الإسلامية.



تركزت خلاصة الفكرة الثورية للجماعة الإسلامية في القيام على دعوة مكثفة مناهضة للنظام تعمل على تثوير الشعب المصري وكسر حاجز الخوف الذي ينتصب بين الناس وبين السلطة، ومن ثم فلا بد أن تدعو خطاباتنا ولقاءاتنا وكل محاضراتنا لتسفيه النظام المصري وكسر هيبته واختراق رهبته وتجريء الشعب عليه.

ولا شك أن مرحلة السادات كان فيها قدر كبير من الحرية لكافة التيارات، قياسا بما سبقها وبما تلاها من الحقبة العسكرية المصرية، فقد كان نشاطنا هذا كله علنيا، ومع هذا فلا ننسى أن هذا القدر الكبير من الحرية الممنوح للجميع كان السادات يريد أن يحرم التيار الإسلامي منه، لكن هذه المعادلة كانت صعبة وغير ممكنة التنفيذ بشكل كامل.

وهنا أنتهز الفرصة للرد على شائعة مشتهرة تقول بأن السادات سمح للجماعة الإسلامية أو للتيار الإسلامي بصفة عامة أن يضرب التيار اليساري داخل الجامعات، وأنه كان متواطئا معها، أو أن الجماعات الإسلامية كانت متعاونة أو متحالفة أو عميلة للسادات بشكل أو آخر.

إنني أقرر هذا بيقين أن هذه المقولة خاطئة ١٠٠ % ، بل إن السادات منح الشرعية والاعتراف الرسمي لثلاثة تيارات رئيسية: تيار الوسط الذي كان يمثله حزب مصر، والحزب الوطني الذي هو حزب السلطة، والليبراليين الذين كان يمثلهم في وقتها حزب الأحرار، ثم منح الشرعية لحزب الوفد وحزب العمل الذي كان أقرب إلى اليسار، وتمخض عن التيار اليساري جريدة الأهالي، فكان في مصر ثلاث تيارات تمنح الشرعية والاعتراف الرسمي، بينما لم يكن للتيار الإسلامي أي حزب رسمي!

لم يكن السادات متعاونا قط مع التيار الإسلامي، بل كان يعمل على تقويضه، وأكبر دليل على هذا سعيه الحثيث لاجتثاث الإسلاميين من اتحادات الطلاب، وكانت هي المؤسسة الوحيدة التي يهيمن عليها الإسلاميون لأنها تنتج من انتخابات الطلاب لا باعتراف من السلطة، واتحاد الطلاب هو مؤسسة صغيرة جدا إذا قورنت بالعمل السياسي الممنوح للتيارات غير الإسلامية، لقد كان السادات حريصا على إبقاء التيار الإسلامي خارج دائرة الشرعية ليكون نشاطه تحت التهديد الدائم، ولقد كان يستهزئ كثيرا -كما في اللقاء الشهير- بالأستاذ عمر التلمساني رحمه الله، ويناديه: يا عمر.. يا عمر، مجردا من أي ألقاب، وقد كان أكبر منه بحوالي خمسة عشر عاما!

يمكن للقارئ أن يرجع إلى التسجيل، ليستمع إلى الأستاذ التلمساني وهو يقول له: لو فعل ذلك غيرك لشكوته إليك، أما والأمر منك فإني أشكوك إلى الله، فيرد السادات: "اسحب شكواك يا عمر فإني أخافه"، في لهجة استهزائية واضحة. أضف إلى هذا هجوم السادات على شعائر الإسلام، وقد وصف الحجاب بالخيمة، وهجومه على الشيخ أحمد المحلاوي وقوله عنه: مرمي في السجن زي الكلب، وقد شن ضده حملة كبرى.

لقد كان السادات من خصوم التيار الإسلامي، وكان مناهضا له ساعيا في تقويضه، وفتح للتيارات الأخرى بما في ذلك اليسار الذي امتلك جريدة التجمع، وقد كانت صحيفة قوية في هذه المرحلة، وكان لكل تيار كيان إلا الإسلاميون،

وغاية ما تحصل الإسلاميون عليه من كرم الحريات هذا مجلة الدعوة التي صدرت للإخوان المسلمين، وحصل الأستاذ حسين عاشور على تصريح لاستئناف صدور مجلة الاعتصام، وأصدر أيضا مجلة المختار، وقد صودرت هذه المجلات في غضبة السادات المشهورة عام **١٩٨١م**.



والشاهد من هذا أن الحركة الإسلامية استفادت من الهامش الذي فتحه السادات للجميع، وكانت أقل هذا الجميع استفادة من هذا الكرم الساداتي، إن صح أن تسمى الحقوق كرما كأنها من جملة المنح والعطايا التي يهبها الحاكم للناس.

ولست أوافق حتى على القول بأن السادات فتح المساحة للجميع وهو يعرف أن التيار الإسلامي سيقوم بدوره في هزيمة التيار اليساري، ذلك أن قرار مواجهة اليساريين كان قرارا ذاتيا بدأه الإسلاميون من تلقاء أنفسهم وبطبيعة أفكارهم التي تناهض الكفر والانحلال اليساري، ولم يكن في ذلك مدفوعا من أحد إطلاقا. ومن الأدلة على ذلك أن التيار الإسلامي لم يسلم من السلطة وهو يواجه اليساريين بل تعقبته السلطة، فلقد كان يُساق الطلاب الإسلاميون إلى مجالس التأديب وتوقع عليهم العقوبات داخل الجامعات إثر ما يكون بينهم وبين اليساريين من المعارك والاشتباكات، فلم تكن السلطة تمنحنا ولا حتى غض الطرف عن هذه المعركة التي يُقال إنها في صالحها!!

إن كافة ما وقع بيننا وبين اليساريين من مواجهات واشتباكات وما حققناه من مكاسب إنما انتزعناه عنوة رغم أنف اليسار ورغم أنف السلطة معا، وأمورٌ مثل التي ذكرتها سالفا كالحجاب والكتاب الإسلامي والمعرض الإسلامي وتنظيم المدرجات لمنع الاختلاط بين الشباب والفتيات، والهدي الظاهر وغير هذا من محاولات صبغ الجامعة بالصبغة الإسلامية، كل ذلك إنما دفعنا ثمنه من أعمارنا ومستقبلنا وتحملنا ضريبة الفصل من الجامعة، وضريبة دخول المعتقلات والسجون في مرحلة مبكرة من أعمارنا إذ كنا في ريعان الشباب.

لم يكن نمو التيار الإسلامي في عهد السادات مقصودا منه، بل انفجر رغما عنه، ولقد حاول هو كثيرا أن يحتوي هذا التيار ويقلم أظافره ويقضي عليه، واستعمل في ذلك ذهب المعز وسيفه، ولكنه فشل في ذلك، ولقد حاول نظام السادات مرارا اختراق الجماعة الإسلامية، والقبض على رموزها، وحاول تحييدها، ومما وقع لي شخصيا أنه كان يُلقى القبض علي في الامتحانات بقصد تعطيل مساري الدراسي، وظللت على هذا الحال أربع سنوات في السنة الأخيرة من الكلية، فقد كان ينبغي أن أتخرج في سنة **١٩٧٨** ولكني ظللت محروما من هذا التخرج حتى سنة **١٩٨٢** ، ثم دخلت السجن ولا زلت لم أمتحن مادتين من مواد السنة النهائية. كان هذا شيئا من محاولات النظام تقويض الجماعة الإسلامية ورموزها وتشويههم، فكيف يُقال: أطلق السادات الحرية للتيار الإسلامي للقضاء على اليساريين؟ أو كيف يقال إن التيار الإسلامي كان متواطئا ومتعاونا مع السادات؟!

نعم، يمكن القول إن الجماعة الإسلامية لم تتعرض في عهد السادات لمثل الجحيم الذي تعرضت له في عهد مبارك، ولكن قياسا بما كان موجود من هامش الحرية، فقد تعرضت الجماعة الاسلامية تعرضت لأكثر أنواع التضييق في ذلك الوقت.

وحين أقول "الجماعة الإسلامية" فأنا أعنيها من بين كل التيارات الإسلامية، ولكن لا يعني هذا أن بقية الإسلاميين كانوا ينعمون بحرية كالتي ينعم بها الآخرون، بل حتى الإخوان المسلمين، بالرغم من موقفهم المهادن للنظام كان مضيقا عليهم، وما إن ارتفع صوتهم حتى شرعت السلطة في تقويضهم كذلك،

وأشهر ما في هذا ما جرى بين السادات والأستاذ التلمساني، وما جرى بين السادات وعبد المنعم أبو الفتوح وصياح السادات في وجهه: قف مكانك.. قف مكانك! الإسلام علمكم ذلك الأدب؟!

•• لقد ضاق السادات ذرعا بالتيار الإسلامي، ولم يكن مستعدا أن يقبل بهذا النمو الذي كان رغما عنه، مع أن الإسلاميين في هذا الوقت لم يكونوا يملكون شيئا غير الكلمة، ولقد كان يعلم أننا لا نملك شيئا غير هذه الكلمة.

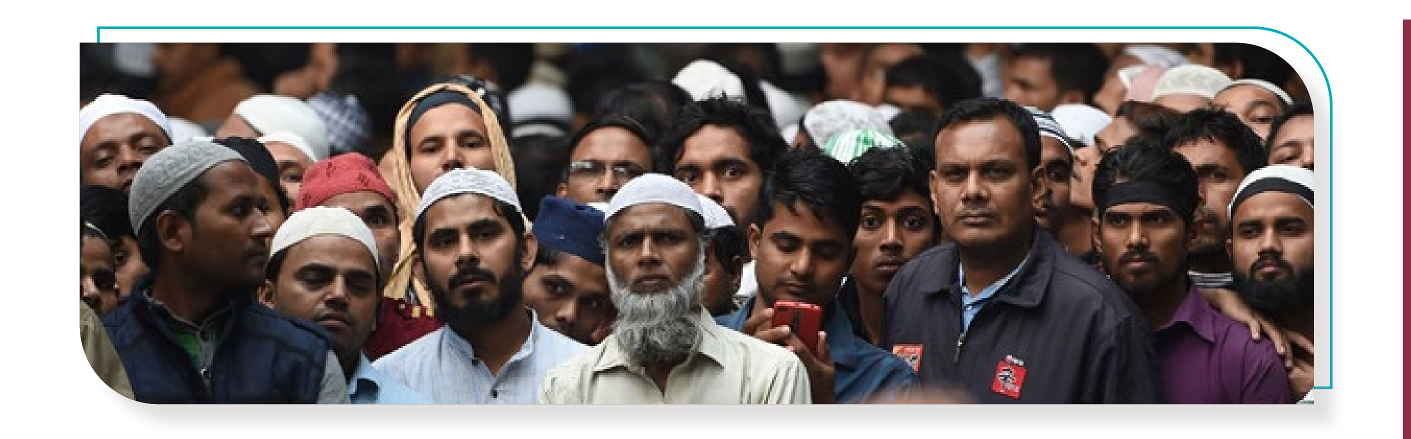
لقراءة الحلقات السابقة:



صبغة الله
الهدوي

الهند على خطى هتلر

على خلفية تأجيل المحكمة الهندية العليا إصدار القرار في قضية قانون التجنيس الهندي، نقرأ المشهد السياسي الهندي الذي يعج بالتوترات والتوقعات، ولوحظ من قبل المحكمة التي من المفترض أن تقف مع مشاعر الشعب الغاضبةالتعصب والإعراض الكامل عن الشعارات التي تهتف بها الملايين في شوارع الهند وحاراتها المزدحمة بما فيها شاهين باغ، حيث أصبحت رمز الدفاع وشعار الكرامة.



فجّـر براكين الحماسة فـي القرى — واركـب حصـان العـز وادع العنـترا
واكسر حصار الخوف واليأس الذي — يقضي عليك فكن حساما أحمـرا
قلب عروش الحقد يا وطن العلى — وادفن طغاتك تحت أطباق الثرى

فتلك هي كلماتي أنا، كتبتها بمداد الوفاء منذ أن اشتعلت الهند عن بكرة أبيها غضباً وثورة، وخاضت في المعركة المقدسة التي لا نخطئ لو وصفناها بأنها آخر فرصة لفتح الأبواب الموصدة، ولبعث الآمال الموؤودة، ولكسر الأغلال المقيدة، ولتعيش الهند على أكتاف شعبها الصامد، نعم، في دولة تشتاق إلى ماضيها الباسم، حيث لا كلام عن الطائفية والعرقية، ولا شجار على فروع لا طائل تحتها، ولا توجد سياجات شائكة تشتت الشمل وتفرق القلوب.

وفي جو يسوده الخوف والقلق واليأس القاتم، يعيش ملايين من المسلمين وسط سحب مكفهرة وظروف قاسية، يواجهون مسألة الموت والحياة، ويضطرون إلى إعلان هويتهم رغم رسوخ أصول أجدادهم، وعلو رؤسهم شامخة، ولا يخفى على قراء المشهد الهندي المخزي أن الأجندة السياسية التي تطبقها آر أس أس لا تخلو من التناقضات الصريحة والحرب المفتوحة على الدستور الهندي، فكل خطوة تخطوها هذه المنظمات المتطرفة لا تريد بها إلا زحزحة أركان الشعب المتحد، وتمزيق الروح الوطنية التي يمثلها المسلمون والهندوس والسيخ جنباً بجنب، ولا يخفى على من لديه أدنى اطلاع على السيناريوهات الهندية أن عملية بي ج ب الجبارة لأشبه بفكرة "فرق تسد" التي استولى بها الاحتلال البريطاني على السيادة الشاملة على شبه القارة الهندية، وأن التطرف

الهندوسي ليس إلا امتداداً للفكرة النازية التي نبعت من العنصرية والطائفية البحتة حيث تمنع حقوق بعض وتمنح لآخر حقوقاً ومزايا.



ولا غرو إذا عادت تلك الأطياف لتعشش في متن الدولة العلمانية وتكون كوابيس على الشعب الذي يريد الحرية والعدالة والكرامة المطلقة، فالشعب الهندي ماضياً وحاضراً لم يستسلم ولن يستسلم لهذه المؤامرات طويلة الذيل، ويأبى الركوع أمام هؤلاء المرتزقة العملاء.

ومنذ أن استقلت الهند عن الاحتلال البريطاني شهدت مشاهد شتى، وشاركت في محطات تاريخية كبرى إلا أنها الآن ترثي نفسها وتلعن حاضرها الدامي الذي لو اختصرناه بكلمة لكانت "الحديد والنار". وقد نقلت الأخبار العالمية عن الاشتباكات الدامية التي حدثت بين الطلاب والشرطة، وإصابة ومقتل مئات وعشرات، مما يصور الجو الكارثي الذي يسود الهند شرقاً وغربًا، فالقبضة الفولاذية التي يمتلكها أمت شاه وعصابته لم تنجح في إخماد الثورة المشتعلة التي صرخت في وجهه بكل العزة والشموخ، بل زادت تلك الضربات البارودية قوة وحماسة في صفوف المتظاهرين السلميين، الذين بددوا غيوم الخوف وكسروا حاجز اليأس والإحباط ونزلوا إلى الميدان بلافتات تعبر عما في ضمائرهم من الغضب والثورة العارمة، فالهند لم تر جماً غفيراً مثل هذه التجمعات التي أعادت لها هيبتها وبعثت في الضحايا والمشردين روح الانتفاضة القوية.

”والأكثر بشاعة والأدهى شناعة ما لاح في آفاق الإعلام الهندي من التعتيم والتشويه والتزوير وعمالة غير مبررة، لقلب الحقائق؛ فكل هندي يحمل في طيات قلبه صوراً رائعة عن المستقبل يقف رافضاً هذا القانون الذي يناقض العدل، فآخر رسالة تبث من الاجتماعات الجمهورية التي يتزعمها "مودي" وحاشيته هي رسالة الاستسلام والخضوع المذل أمام هذه التيارات التي كسحت كل ألغام العنف والكراهية.“

والجميل في هذا الجو العكر هو وقفة كل أتباع الأديان بغض النظر عن الجغرافيا والعرق مع المسلمين وقفة رجل واحد، وكأنهم فدائيون من أجل استرداد جمال الهند، وخيبوا طموحات الخلايا المتطرفة التي تاهت في متاهات أحلام طائشة، وظنت أن القلوب ستنكسر وستبعثر حتى تتسهل مطاردة المسلمين، فرغم الجراحات التي تنكب القلوب، ورغم كل الأخبار الدامية التي تنشر صور المصابين والقتلى في أعمال الشغب الممولة من قبل الشرطة والإدارة الحكومية تبقى الملايين في الميادين، مرددين هتافات الحرية والكرامة، صامدين مرابطين أمام ثغور العلمانية رغم الطلقات النارية والغازات المسيلة للدموع، يقفون ليبنوا وطناً على أسس غاندية، وليعمروا دولة تعيش من أجل الشعب، وليلدوا جيلاً ينهض كلما نادى الوطن، كلما استنهضهم الزمن، وسيقيم هذا الشعب الغاضب على أنقاض بي ج ب وبنات أفكارها العليلة دولة قوية تهدي إلى الدنيا ألف سلام وسلام.

●● فرغم كل المعارضات الشديدة التي وجهها إلى الحكومة كبار المثقفين والمحامين والقانونيين والناشطين في حقوق الإنسان من بينها منظمة العفو الدولية، والهيئات الأخرى بما فيها منظمة التعاون الإسلامي، لم يزل أمت شاه وزير الداخلية الهندية يقلق الأقلية المسلمة بصرخاته المزعجة، ولا يزال يخيفها بقامته المتجبرة، بلسان عسكري لا يبين، وبنبرة طاغية لا تقرأ روح الشعب، وإلى الآن لم يلتفت أية لفتة نحو الأزمات المتفاقمة بالهند ولم يخض في القضايا الجادة بل ظل يتحاشاها تحاشي الماكر المتدرب.



ومما يثير قلق المسلمين ما يرونه من حميمية العلاقة بين الهند وإسرائيل، والتي خطفت الأضواء الإعلامية في هذه الأوضاع الخاصة، فكل خطوة تخطوها الهند باتجاه تل أبيب تزيد القلق والإحباط في صفوف المسلمين، مع أن تاريخ الهند الطويل لسبعة عقود يؤكد شفافية مبادئ الدولة الكبرى، لا سيما في قضية فلسطين، إلا أن الجو تعكر بصعود بي ج ب ناصية الهند، فلا غرو إذا أملت إسرائيل حبائل الشر إلى شقيقها الوفي بي ج ب ليصبح مستقبل المسلمين كبش فداء هذه المؤامرات الطويلة.

" فكيف نبرر هذا القانون الذي لا يحمي الحقوق لأهليها ولا يفي للشعب وعوده حتى يكون الجندي الذي حارب ضد باكستان خارج نطاق هذا القانون، وليصبح الأب والأم في دولة والابن والبنت في أخرى، وليحتضن الدستور هندوسياً جاء من بنجلاديش وليدوس مسلماً لاجئاً من باكستان في آن واحد، والذي يجعل هذا القانون ملتقى التناقضات الصمت المريب الذي يتستر به قيادات بي ج ب، والتقهقر المروع لمنابر الإعلام حتى لا تزعجهم تساؤلات السائلين، وعطفاً على ذلك ما يتفوه به رئيس وزراء ولاية أتار برديش يوغي آديتاناد من كلمات مشوبة بالعنف والكراهية ضد المسلمين، إّ لا يحترم الدستور ولا المشاعر الحساسية، فكل هذه الصور ترسم الهند من خلالها مستقبل دولة تعلن حرباً مفتوحة على ماضيها، وتثور على قياداتها الأوفياء أمثال غاندي ونهرو وإندرا من الشخصيات التي سهرت من أجل الهند حتى لا يمزقها ممزق. "



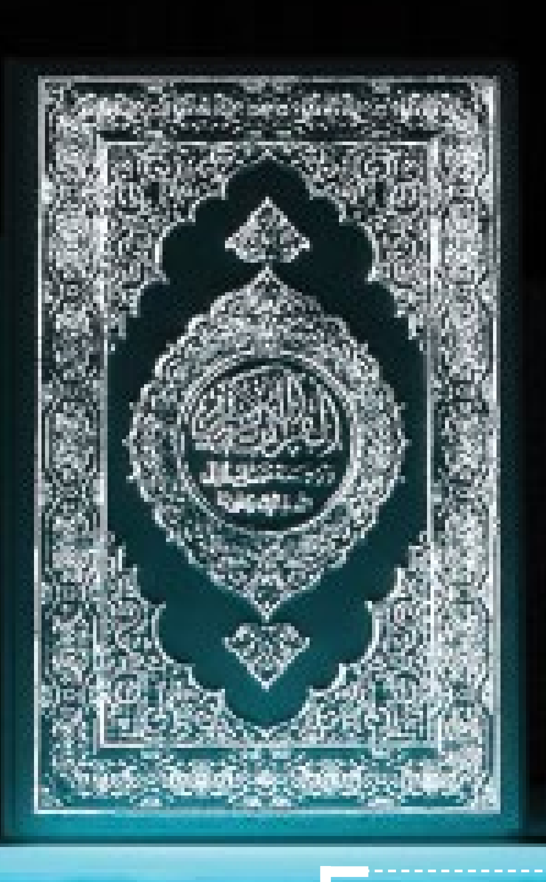
مشاهد لم تبث في زمن التعتيم الإعلامي

تعرضت مدن مظفر نكر، وميرت حيث يسكن فيها المسلمون بعدد كبير لأعمال عنف واعتداءات ممولة، فخُربت المساجد والبيوت والمحلات التجارية والممتلكات، بدعم الشرطة التي أمدت كل الإمدادات لهؤلاء المغتصبين المتنكرين، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد؛ بل أطلق بعض أفراد الشرطة النار على المتظاهرين، حتى لقي عشرات برءاء مصرعهم في هذه الضجات النارية، ولم يجد المصابون من يوصلهم إلى المشافي.

وقطعت خدمات الإنترنت في تلك الولايات المنكوبة خوفاً من التنديد الواسع الذي سيحرك ساكن الشوارع الهندية، فمن أهم العوامل التي بخرت أحلام بي ج ب التي ظنت أن الماء سيتعكر وأن المسار سيتغير لصالحها تلك الانتفاضات الطلابية التي انطلقت من أبرز الجامعات الهندية بما فيها جامعة عليجره، وجامعة جوهر لال نهرو، والجامعة الملية التي وقفت بكل صمود في وجه هذا التيار العاتي.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



بوصلة التغيير

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

ما جدوى التجديف الكثيف إذا فُقدت البوصلة أو انحرفت؟ سؤال لا يتردد العقلاء في الإجابة عليه ولا يتلعثمون، ومع ذلك فنحن نواصل سيرنا في إصرار غريب دون الالتفات إلى أهمية الرؤية الواضحة الجلية؛ وكأننا إذْ آمنّا بالقضاء والقدر وسلمنا لحكم الله تعالى لا نرى ضرورة لوضع التراتيب وإحكام التدابير، أو كأننا إذْ نلتمس الأجر على السعي وَنَكِل النتائج إلى الله عزّ وجل نرى البحث في المشروع والاستراتيجيات دخولاً فيما لا يعنينا، وتكلفاً في تحمل ما لم نُكَلّف به!!



لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى الخلق إيمانا بالقدر وتسليما لحكم الله تعالى، وكان إلى جانب ذلك ينقل خطاه على الطريق بتوجيه السماء وعناية الوحي المعصوم، ومع ذلك لم يكن يتحرك إلا برؤية واضحة جلية، تنبثق منها خطط واستراتيجيات وتراتيب وتدابير، ففي المرحلة الثالثة من دعوته صلى الله عليه وسلم عندما تم البلاغ والبيان في مكة كانت رؤيته متجهة إلى الخروج بدعوته من المحضن البسيط إلى آفاق التمكين، وكان يدرك تمام الإدراك مكتسبات المرحلة الماضية من دعوته، والتي يتصدرها هذان المكتسبان العظيمان: الأول: بناء القاعدة الصلبة التي تحمل هم الدعوة، الثاني القضاء المبرم على النظرية الوثنية التي قامت الحياة الجاهلية عليها، ومن ثم كان جل اهتمامه الحفاظ على هذين المكتسبين والبناء عليهما والانطلاق منهما، فلم يتراجع قط عن شيء من ثوابت دعوته التماسا للتقارب مع جبهة من جبهات الجاهلية، ولم يفرط في الذخيرة البشرية التي تراكمت على متن شخصيته العملاقة، وكان قراره بنقل جزء كبير من جماعته إلى الحبشة؛ لتكون قاعدة احتياطية له، ثم كان قراره بالهجرة إلى يثرب لإقامة الدولة، ثم كانت التدابير والتراتيب المحكمة التي اشتهرت في التاريخ الإسلاميّ وعرفها الكافة.

وهكذا كانت له في المرحلة الرابعة التي انتهت بقوله عقب غزوة الأحزاب: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا" كانت له فيها رؤية واضحة جلية، وكذلك كان الأمر في المرحلة الخامسة التي انتهت بالفتح، ثم جاءت مرحلة عالمية الرسالة التي بدأت ببعث الرسل إلى الملوك وانتهت بالفتوحات العظمى التي قام بها الخلفاء الراشدون، وكل مرحلة من هذه المراحل لها رؤيتها المنبثقة من الرؤية الإسلامية العامة.

فما بالنا نحن منذ قيام ثورة يناير ونحن نجدف تجديفا عنيفا في لجج من المتاهات التي لا يعرف لها شاطئ!! ونمضي في التجديف العبثي ذاهلين عن ثوابتنا وغافلين عن كل مكتسباتنا الحقيقية؛ فكم ضيعنا من شبابنا وأرصدتنا البشرية بسوء إدارتنا للصراع وضعف إدراكنا لأهمية هذا المخزون الاستراتيجي العظيم، وكم أهدرنا من ثوابتنا لقاء التقارب مع شراذم من الضائعين الضالعين في المؤامرة على ثورة الشعب!!



إننا بانحيازنا إلى خيارات العسكر في أول الثورة فوتنا على انفسنا فرصة انضمام الشعب لنا والتفاف الشباب حول دعوتنا، وبسوء إدارتنا للصراع فقدنا خيرة شبابنا في الشوارع والميادين بلا أدنى ثمن نجنيه، وها نحن في الغربة ننقسم ونتفرق ونتناحر ونتنازع ليقع الجيل في حيرة من أمره ويفقد ما بقي من عقله ويسلم ساقيه لرياح الفتن العاتية، كما أننا بهزيمتنا النفسية التي بلغت الأعماق صرنا نلهث وراء كل جديد من الأفكار المصنوعة دهاليز الفتنة.

إنّنا بحاجة إلى البوصلة؛ لندرك إدراكا صحيحا ما لدينا من أرصدة حقيقية، ونعرف كيف نحافظ على ما تبقى لنا منها، ولنبصر طريقنا فنتجه إلى الغاية من أقصر الطرق، وهذا لا يتم لنا إلا بالاجتماع والتشاور، وهو ما لم يحدث، وأعتقد أنه على المدى القريب والمتوسط لن يحدث؛ لذلك أتوقع أننا سوف نستمر في هذا الخبط لتجري ساعة الزمن وتتجاوزنا الأحداث ونحن ثابتون في أماكننا كأحجار في طريق السيل دفعها بقوته دفعا عبثيا فترة ثم نخر من حولها الأرض ومضى في طريقه وتركها رابضة بلا حراك ولا أثر.

إنني أتعجب من حالنا؛ إذ كيف نزعم أننا أصحاب رسالة خالدة ونحن من بين كل الخليقة التي يفترض أننا نحمل الرسالة الخالدة إليها لا نملك رؤية ولا مشروعاً، ولا نستطيع تفسير ما نصنعه إلا بما يثير الضحك والبكاء معاً، وإلا

فليقل لي أحدهم: ما جدوى ما نسميه اليوم بالحراك؟! ما فائدته وهو لا يحرك ساكنا على أي مستوى من المستويات؟ أم أننا نهوى ممارسة أعمال لا نبتغي منها إلا أن نبيت وقد قنعت ضمائرنا وسكنت خواطرنا؟!



ألم تر إلينا كيف نخاف من تدوين المرحلة وتوثيق أحداثها؟ ألم تر إلينا كيف نفر من الوحدة الحقيقية ثم نسعى لمد جسور التواصل مع كل شاردة وواردة؟ حتى صار بعض رموز ٣٠ يونية لبعضنا الذين هجروا إخوانهم إخوانا؟! ألم تر إلى بعضنا يذهب في تقييم التجربة إلى حد الاستسلام التام إلى حد لعن التجربة برمتها والدعوة إلى أن يقضى على الإسلاميين بالتنازل عن حقهم كمواطنين في الممارسة السياسية؟!

إنه التيه لا ريب، **والسؤال الآن: متى سنخرج منه؟** وإلى متى سنظل نضرب في ظلماته بلا هدى؟ ألا من حاد يرشدنا وراع يهش علينا؟ من لنا برجل كيوشع بن نون يخرجنا ويخرج بنا من هذا التيه المحكم؟ فليكن كل واحد منا هذا الرجل، وليلتمس كل واحد منا المخرج لنفسه ولإخوانه، ولنعلم أننا بغير المنهاج الذي جاءنا من عند الله تعالى لن يكتب لنا الخلاص، فإلى كتاب الله ومنهجه يا أيها الصادقون المخلصون، تداعوا وتعاونوا وتشاوروا واعملوا على إنضاج رؤيتكم على هدى من شرع الله تبارك وتعالى.

"ولا تستسلموا لليأس والقنوط، ولا تلتفتوا إلى دعاة الفتنة الذين يقفون على أبواب جهنم، ولا إلى المتعثرين في عقابيل العصبية الحزبية المقيتة، واعلموا أنّ النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا، وأن الله مع المحسنين."



حوار مع الشيخ عوض القرني[1]

فك الله أسره

حاوره: يحيى العبدلي، سالمة الموشي..

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نرحّب بفضيلة الشيخ الدكتور عوض القرني في موقع إيلاف ونسعد بإجراء هذا الحوار معه:

---

(١) نُشر هذا الحوار عام ٢٠٠٧ بموقع طريق الإسلام، رابط إلكتروني. وقد انتقينا منه ما يهم قراء المجلة.

ما هي أبرز مفاهيم الصحوة الإسلامية اليوم ؟

الصحوة الإسلامية تعني تجديد الدين مع المحافظة على أصالته، أي أننا نعود إلى الدين في تناول القضايا المعاصرة والمستجدات والنوازل من قضايا المجتمعات وقضايا الحضارة وقضايا الإنسان، دون أن نَبقى أسرى لصور تقليدية اجتهادية غير معصومة تاريخية معينة؛ فنحن ننطلق من الدين والدين مرجعيتنا، ونستلهم الدين، لكننا نتعامل مع المستجدات بنظر جديد في إطار الدين، والصحوة الإسلامية هي التعبير العملي في صورة فكرية وصورة سلوكية وصيغ حضارية مختلفة في جميع جوانب الحياة المختلفة عن هذا المعنى التجديدي للدين، و الصحوة تعني أن الناس عادوا إلى أصالتهم وإلى دينهم وتناولوا قضايا الرقيِّ والتطور والتنمية والحضارة، وفق خصوصياتهم وعقائدهم وقيمهم وأخلاقهم ومصالحهم، والصحوة تعني أنها عادت بالأمة إلى جذورها بعد اغتراب أو جمود.. هذه هي الصحوة باختصار شديد .

كيف يرى الشيخ القرني ما يدور من جدل حول التيار الجهادي في العالم الإسلامي؟

التيار الجهادي هي محاولة من محاولات إحياء شعيرة من شعائر الإسلام الكبرى، وهذه المحاولة صاحبها كثير من الصواب في عديد من البلدان، وصاحبها كثير من الأخطاء - وأحياناً الفظيعة - في عديد من البلدان فمثلاً في البلدان الإسلامية التي ابتليت بالاحتلال الأجنبي مثل ما هو في فلسطين أو مثل ما هو في العراق أو مثل ما في أفغانستان أيام الاحتلال السابق واللاحق أو مثل ما هو في كشمير، الاحتلال الهندي الذي صادر حق الشعب الكشميري في تقرير مصيره كما أقرّته القرارات الدولية، أوفي جنوب الفلبين أو في كثير من القضايا فهي دفاع مشروع عن النفس وعن المجتمع وعن النساء والعجزة والمساجد ودور العبادة والمصالح، وبالتالي فهي حق مشروع كفلته جميع الأديان وجميع الشرائع، وأيضاً تحت هذه اللافتة كان هناك العديد من الممارسات الخاطئة في

العديد من البلدان الإسلامية التي حملت السلاح لتصفية الحسابات في داخل المجتمع المسلم ذاته، وأدّت إلى إهدار الدماء، وأدّت إلى الغلوّ وإلى التكفير.. هذا جانب، الجانب الثاني بالنسبة لموضوع التيار الجهادي في العالم الإسلامي.. أقول إن الأخطاء والممارسات التي وقعت من بعض فصائل هذا التيار من أسبابها أولاً الظلم العالمي الذي يمارَس على العالم الإسلامي في جميع قضاياه والكيل بمكيالين، ومحاولة إنهاء وجود الأمة وفرض الهيمنة عليها واستلاب مصالحها ومصادرة حقها في أن تعيش حرة كريمة وفق ما تراه لنفسها، وكذلك من أسباب بروز هذا التيار القمع والاستبداد والظلم والتخلّف الذي تمارسه الأنظمة التسلّطية في كثير من بقاع العالم الإسلامي، وكذلك من أسباب بروز هذا التيّار: تقاعس الدعاة والعلماء عن القيام بدورهم أو الحيلولة دونهم ودون القيام بدورهم في تنوير الأمة بإسلامها الوسطي المعتدل الحقيقي، الذي هو رحمة للعالمين. ومن الأسباب الغلو في التديّن والتشدّد في الفهم. ومن الأسباب الغلوّ العلماني ضد الإسلام ودعاته .. وغير هذا كثير.



هذه بعض الرؤى حول قضية الجهاد وأمور الجهاد وما يدور حول الجهاد، ويجب أن نكون موضوعيين وأن نفرق بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، وأيضاً أن نكون موضوعيين في معرفة الأسباب؛ وذكر الأسباب ليس لتبرير الأخطاء لكنه لمعرفة العوامل التي أدت إلى وجود هذه الأخطاء، ومن ثم البحث عن المعالجات الحقيقية لها.

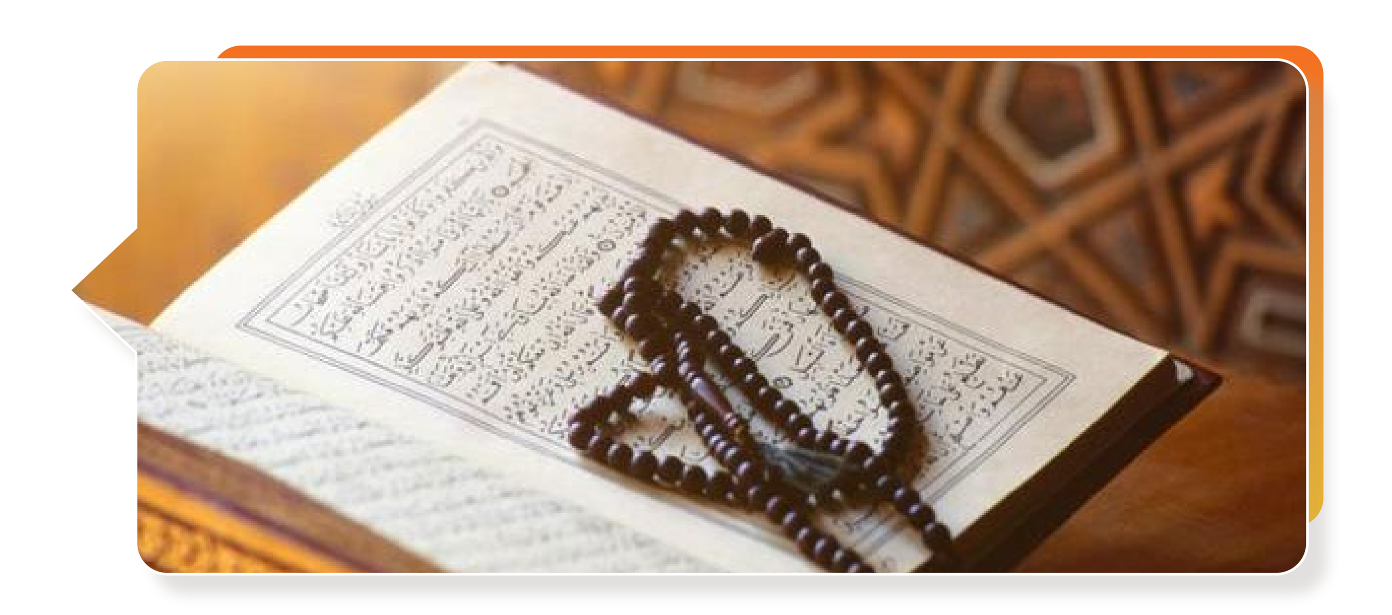
ما هو مفهوم التسامح الديني عند الشيخ القرني .

التسامح الديني هو أن تطبق أحكام الدين تطبيقاً حقيقياً، والدين هو أرقى صور التسامح على الإطلاق لأنه صدر من رب العالمين رحمة لجميع العالمين، ورحمة الله وسعت كل شي ولذلك الدين الإسلامي لم يمنع بأن يبقى اليهودي على يهوديته والنصراني على نصرانيته في ظل مجتمع مسلم لهم حقوق وعليهم واجبات ومنع ظلم غير المسلمين، حتى في ساحات القتال هناك أخلاق وأحكام يجب أن يلتزم بها المسلمون لم تصل إلى عشر معشارها القوانين والدساتير الدولية المعاصرة في قضايا الحروب وعالم الحروب، فأنا أفترض وأقول إن أرقى وأعلى صور التسامح الحقيقية هي أن يطبق الإسلام تطبيقاً صحيحاً كاملاً.. وحتى نعرف الإسلام الحقيقي يجب أن نعود في ذلك إلى الراسخين في العلم الشرعي إلى علماء الشريعة إلى المتخصصين في علم الشريعة، أما من يتوقع أن التسامح الديني هو أن نتخلى عن ديننا وأن ننسلخ عن التمسك بشريعتنا وعقيدتنا أو أن ننصب يهودياً أو نصرانياً أو ماسونياً أو شيوعياً أو علمانياً مفتياً في الشريعة، فأظن أن عوام المسلمين فضلاً عن علمائهم يعلمون أن هذه مغالطة، وأنها محاولة للحرث في البحر واستنبات البذور في الهواء، ولن تجدي شيئاً ولن تصل إلى نتيجة.

ذكرت ذات مرة أنه إذا كان المشروع الإسلامي حقيقياً فإنه يستحيل أن يفشل. ما هي أبرز مقوّمات أن يكون المشروع الإسلامي حقيقياً؟

أولاً هذه القضية - قضية أنه يستحيل أن يفشل - أنا لم أتحدث بها من عند نفسي، أنا نقلتها من القرآن الكريم المعصوم الذي جاء من الله تعالى، يقول الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ويقول الله سبحانه وتعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} ويقول سبحانه وتعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} ويقول سبحانه وتعالى:{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، إذاً هذه حقيقة شرعية قطعية مسلّمة لا يماري فيها مؤمن، أما متى يكون المشروع الإسلامي حقيقياً فهناك العديد من المقومات..

أوّل هذه المقومات: أن تكون مرجعيته هي الكتاب والسنة، وضرورات العقل، ومقتضيات الفطرة التي فطر الله عليها الناس والتي جاء الوحي مؤكداً لها أن تكون، هذه المرجعية.



الأمر الثاني: أن يعيش الإنسان عصره وفق سنن الله سبحانه وتعالى، بمعنى لا يحاول أن يصادم سنن الله سبحانه وتعالى.

- **إذاً الشرط الأول:** أن يلتزم بالشرع.
- **الشرط الثاني:** أن يلتزم بمقتضيات العقل.
- **الشرط الثالث:** أن لا يصادم ضرورات الفطرة.
- **الشرط الرابع:** أن يسير في الحياة على وفق سنن الله سبحانه وتعالى التي فطر عليها الكون والحياة والمجتمعات.
- **الشرط الخامس:** أن يتحرك الإنسان على قدر استطاعته، يعني لا يحاول أن يستبق الزمن أو يحرق المراحل، وأن يأتي بأمر قبل أوانه.

والشـرط الأخيـر: أن يضبط حركته في الحياة بفقه المصالح والمفاسد على وفق مقاصد الشريعة الإسلامية، إذا كان المشروع منضبطاً بهذه الضوابط فجمع بين الثبات والتطور، وبين الأصالة والمعاصرة، وبين الواقعية والمثالية، وبين التوازن والشمول، إذا جمع بين هذه المعاني المتعددة فهو مشروع إسلامي حقيقي.

ما هي مشكلة التيارات الإسلامية اليوم مع حكوماتهم؟

مشاكل التيارات الإسلامية متعددة، منها مشاكل ناشئة من داخل التيارات، إما بسبب أفكار خاطئة أو ضعف في حمل رسالة الإسلام أو اختلاف في ما لا يجوز الاختلاف فيه، أو منع للاختلاف في ما يسوغ الاختلاف فيه، هناك مشاكل عديدة داخل التيارات. وهناك مشاكل مفروضة على التيارات من خارجها، مثلاً الأنظمة التي تحكم مجتمعات مسلمة وتسمح فيها قانوناً بقيام أحزاب شيوعية وأحزاب علمانية وتمنع قيام أحزاب إسلامية، الأنظمة التي تمنع بناء المساجد والحجاب وترتيل القرآن في المساجد، وتأذن بدور الدعارة وبارات الخمور وما هو أسوأ من ذلك أحياناً، الأنظمة التي تستجيب لضغوطات الخارج وترفض الاستجابة لتوسلات شعوبها، الأنظمة التي ينخر الفساد فيها، فتبدد المليارات يمنة ويسرة، وتضن على شعوبها بالملايين القليلة التي تكفل بها ضروراتها، الأنظمة التي جيوشها محدودة وهزائمها أمام أعدائها متتالية، وأجهزتها الأمنية تضرب في عرض البلاد وطولها ولا تسمح لأحد أن ينبس ببنت شفة ولا أن يعبّر عن رأيه.

هذه مشكلات حقيقية لا يجوز لنا أن نتعامى عنها وأن نتجاهلها، وكذلك هناك مشكلات مفروضة على الحكومات وعلى الشعوب وعلى الحركات من خارج العالم الإسلامي، من قوى الهيمنة والاستكبار والسيطرة العالمية التي نراها وهي تصادر حقوق الشعوب وتقول كما قال فرعون {مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرَى وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ}. وأيضاً هذه القوى مع الأسف لها وكلاء في بلاد المسلمين ينطقون باسمها وينفّذون مشاريعها ويبشّرون بعصرها ويجمّلون ويزيّنون قبحها، لكنني أعلم أن كل هذا صورة من صور الابتلاء وأن ذلك كله سينتهي لأنه زبد، والزبد يذهب جفاء.



هناك تيار دعوي وتيار جهادي وأخر تكفيري وأخر وسطي.. وهكذا نجد أننا أمام أكثر من تيار. الشيخ القرني كيف يجد العلاقة بين هذه التيارات؟

وأين يجد نفسه من خلالها؟ وما هو خيار الأمة اليوم في ظل كل هذه المتغيرات. أما التيار الدعوي فيجب أن يكون جميع المسلمين دعاة إلى الله سبحانه وتعالى لأن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، فكل متبع لمحمد صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون داعياً إلى الله سبحانه وتعالى، ومن يرفض الدعوة فهو يرفض اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بنص القرآن، بل هذه رسالة الأمة {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «بلِّغوا عني ولو آيةً».

التيار الجهادي تحدثت عنه قبل قليل وبيّنت ما هو الصحيح وما هو الخطأ من وجهة نظري، أما التيار التكفيري، فأيضاً هذه القضية فيها إلباسات وإشكالات؛ فإن كان المراد بالتيار التكفيري الذي يكفر المسلمين ومن يكفر أصحاب المعاصي والذنوب ومن يكفر من ليس بكافر بنص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا غلو مرفوض في الدين لا يجوز لنا أن نقبل

به تحت أي ذريعة من الذرائع، وإن كان أن البعض يريد أن يقول كما يطرح بعض الحداثيين أنه ليس في الحياة كفر على الإطلاق، وأن الجميع سواسية، والمذهب الإنساني كما يسمونه، فهذا تكذيب للأنبياء ورد للرسالات وإلغاء للقرآن والسنة، نعم في الدنيا مؤمن وكافر، أما التيار الوسطي فالأمة المسلمة يجب أن تكون أمة وسطاً كما وصفها الله سبحانه وتعالى.



والتيار الوسطي له سمات في داخل الأمة، وللأمة أيضاً الوسط سمات بين الأمم يعرفها المتخصصون، وبالتالي فالأمة يجب أن يكون خيارها هو خيار الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بشروطها وضوابطها، وأن يكون الجهاد هو وسيلتها في ميادينه الحقيقية وبضوابطه وأحكامه الشرعية، وأن تكون الوسطية هي سمتها ومنهجها الذي ترفعه بين الأمم، وأن يكون التكفير حين تمارسه الأمة بدليله الشرعي وضوابطه الشرعية ومن العلماء الراسخين الثقات، حينئذ يكون هذا هو خيار الأمة في ضل المتغيرات التي تعيشها.

الأصاغر والأكابر

مجدي شلش

أستاذ أصول الفقه المساعد بالأزهر

الإنسان كائن عاقل أو مفكر، وبتعبير المناطقة حيوان ناطق، فصل يخرج كل المخلوقات، فإن اجتمعت المخلوقات في الحياة إلا إنها سلبت خاصية التفكير والعقل، فكلما زاد العقل تحققت الإنسانية، وكلما خف العقل أو ضاع في دهاليز المفاسد ذهبت الآدمية، وخلقت (بلت) الإنسانية.

الصغر والكبر في حركة العقل وتفاعله مع المحسوسات حتى يستخرج منها المعقولات، فمن لم يتقنها ولم يعلم ضوابطها وغاب عنه روسخ فنها فهو صغير، ومن عظمها وأعطاها حقها فحقا هو الكبير، فليس الصغر والكبر متعلق بالسن أو قوة البدن أو ضعفه، وإنما حقيقته في إدراك العقل وفهمه طبيعة الأشياء التي تجري من حوله.

غالب المسلمين يعيشون الصغار المعنوي، لأنه نتاج طبيعي للصغر العقلي والفكري، فضرب الذلة على الأمم إنما هو نتاج تفكيرها العقيم، الذي ينعكس على سلوكها وواقعها، فيحدث التأخر والتأزم والتشرذم.

المسلمون الأوائل حسن فهمهم، وصح تفكيرهم، وعلا إدراكهم في القضايا الإيمانية والفكرية، فسما سلوكهم، وعز قدرهم، وعلا شأنهم، العقل أساس الخيرات إن أحسن التفكير، وأساس الخراب إذا أتقن الفوضى في النظر والتأمل والتدبر.

التغيير الذي أصاب العرب هو التحول من الجمود على عادات وتقاليد الأهل والأقارب من الآباء والأمهات والأصدقاء إلى سعة الكون وحسن تدبر سننه وفهم مقاصد خلقه، فتحول راعي الغنم إلى قائد للأمم، والجبان الذي يخشى مواجهة الصعاب،إلى محارب ومقاوم لأشق الأزمات والمشكلات.

القرآن الكريم قضيته الأولى الهداية والخروج من ظلمات الصغر العقلي والفكري المحدود إلى عملقة النظر في مفردات الحياة، أكبر مقاصد القرآن هو نقل الإنسان من ضيق الأفق إلى سعة العقل والنظر، ومن هنا كان التحول الهائل في حياة العرب.

الصغر العقلي غالبا ما ينتج النظر القاصر، فالذي يستبدل الأعلى بالأدنى صغير، والذي يقدم الضعيف على القوي صغير، ومن لا يستشرف المستقبل ونظرته دائما إلى الماضي أو توافه الحاضر صغير، ومن لا يعظم المؤسسات ويجري وراء هوى بعض الأفراد صغير.

المظهر الأكبر في تجلي كبر العقل هو التوازن بين ما في الدنيا من نعم ومتع ومصالح على مصالح ومتعة الآخرة، الدنيا قليلة العطاء، صغيرة العمر، حقيرة المصالح الفانية، من انشغل بها عن اللذة الباقية فهو صغير وحقير مثلها.



لا أقصد التهوين من شأن الدنيا وعظم أمرها حتى تصان القيم وتقام الشرائع، وإنما ما قصدته هو التقديم عند التعارض والتزاحم بين مصالح الدنيا والآخرة، وأيضا قصدت الإنسان الذي جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه وفكره، ولعل هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه: " اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...".

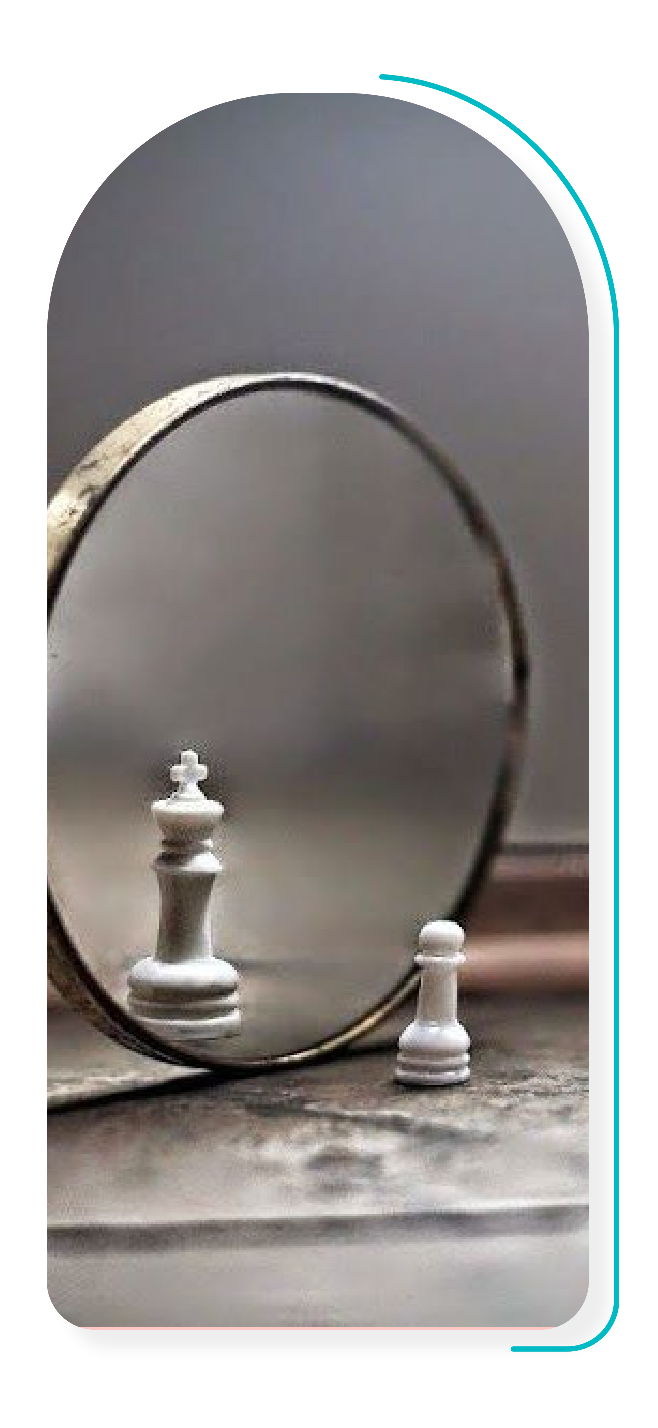
وتتجلى مظاهر الصغر العقلي في الأنا المستبدة، التي لا تري إلا ذاتها، ولا تعبر إلا عن نفسها، إن تصدر تكلم، وإن تأخر خرس وسكت، إن كان على المنصة فرح وابتهج،وإن كان مع القوم نفر ورجع، بلاؤنا في كثير من علمائنا، دائما يريد لنفسه أكثر من حقيقتها، ضمر الإخلاص، ومات الصدق، فحصل الصغر وجاء الصغار.



❞ الصحبة الأولى قامت على صواب العقل، ودقة النظر، وطهارة القلب، وجهاد النهار، وقيام الليل، فلانت لهم العقول، وفتحت لهم القلوب، وسادوا بصدقهم وإخلاصهم الحضارات التي بادت، والأمم تكبر وتعلو بكبار العقول والنفوس، فيعلو الجميع من الصغار، وتتحقق المراتب العليا في كل ميدان. ❝

تحتاج الأمة في هذا الوقت إلى عقول مدركة لحقيقة الصراع، وفاهمة لسنن النصر والتمكين، وتقيم الأسباب النافذة والمناسبة لتحقيق كبار أهدافها، عقول كبرت عن دنايا الأفكار، وذلة التبعية لحقول الألغام من أفكار الاستعمار، أمة تصنع النصر مع انتظارها الفرج، أمة تقدر الواقع وتحدياته، وتفكر في مآلات المستقبل.

الصغير يعرف من هدفه وخطته وقلة حيلته، والكبير يهتف دائما " صمت آذان الدنيا إلم تسمع لنا" الكبير عالي الهمة متقد المشاعر، إحساسه ومشاعره مع بني قومه، نافذ البصيرة، حاد الذكاء، قوي القلب، عميق الفكر، والصغير إمعة يدور في أجندات الاستعمار خوفا من فوات بعض التمرات.



أكبر الجرائم التي ترتكب في حق الأمة الإسلامية هو تقزيم عقلها بالتعليم التافه، والثقافة التي لا تقدم بل تؤخر، أمتنا الكبيرة منذ نشأتها غلبت أعتى الأمم بحسن الإدارة، ودقة التنفيذ، وعمق الرؤية، والتقدم في المجال العلمي في شتى ميادينه وشعبه، العلم عند الكبار مصدر الرقي والتحضر، وعند الصغار مصدر القلق والاضطراب.

دعوتنا ولدت كبيرة من عقل كبير وقلب واسع وهدف جليل، هدفها الأسمى والأجل تحرير الإنسان من ربقة الاستعمار المادي والثقافي والمعرفي والسياسي والمالي إلى ميلاد جديد، التقدم فيه للكبير، والرفعة من الصغر لكل من هانت عليه نفسه، وزلت به قدمه.

لا نريد لأمتنا إلا كل الخير والرفعة والعلو والسمو، ولن يتحقق ذلك على أيدي الكذابين من الذين يبيعون الوهم باسم الدين، ويربون الصغار على حب الذلة والمهانة باسم فقه الواقع وكثرة تحدياته.

أناس يلعبون بالدين كلعب الصبيان بالكرة، فلا خطة ولا هدف ولا رؤية ولا عمل سوى جمع الأذكار والأوراد، وكأن الدين تتمات ودعوات خالية من عظمة التفكير ودقة التخطيط، وروعة الحركة.

من تراث الأزهر

العزة في الاعتصام بالشريعة

لفضيلة الشيخ محمد سليمان* رئيس المحكمة العليا الشرعية

قال رحمه الله داعياً إلى تطبيق الشريعة الإسلامية[١]:

"أحب أن أصرح بأن هذا الدين الذي نحميه ونتواصى به هو دين المعاملة، وأن هذه الشريعة لا يدل اسمها إلا على مسماها، وقد قال لنا شارعها: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) . [الحشر: ٧] وقال : {خذوا ما آتيناكم بقوة} [البقرة : ١٣] ، (وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) [المائدة : ٤٩].

(*) هو الشيخ محمد بن سليمان بن إبراهيم، ولد في «كوم النور» من أعمال مركز ميت غمر محافظة الدقهلية، في نهاية القرن الثامن عشر ، وهو شريف النسب، نشأ في بيت علم وتقوى حتى قيض الله له أن يكون مسموع الكلمة، تعلم بمدرسة القضاء الشرعي، ولم يفتأ يدعو إلى اتخاذ الشريعة الإسلامية أساساً للحكم، عمل قاضيًا ثم عضواً بالمحكمة العليا ثم رئيساً لها، تُوفي عام (١٩٣٩م) ، ومن كتبه: «بأي شرع نحكم»، و«من أخلاق العلماء»، كما نشرت له أبحاث كثيرة في الصحف المصرية.

(١) بأي شرع نحكم. . اتخاذ الشريعة الإسلامية أساسا للتقنين، للشيخ محمد سليمان (ص -٨٩ ،٩٠، ١٠٦).



ومن يُنكر في هذه الشريعة حلّ البيع فحكمه حكم من يُنكر وجوب الصلاة، كلا الأمرين في هذا الدين سواء، فلا محافظة على الدين إلا باعتبار الشريعة التي تنصره».

إلى أن قال: «إن اقتراحي سهل لا تظنوه صعبًا؛ فإني أريد أن يكون الأساس من النبعين الخالدين وهما القرآن والحديث، وهما النبعان اللذان خلفها فينا صاحب الشريعة، وضمن لنا ألا نضل ما اتبعناهما، ما جعل الله علينا في الدين من حرج، ولكن الحرج كله أن نخرج عن هذين الأصلين، وقد جربنا الاعتصام بها ثلاثة عشر قرنًا فعززنا، وجربنا النكوص عنها فذللنا وهوينا».



وقال رحمه الله في موضع آخر[٢] : «لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ضاق صدر الخديوي لذلك؛ فركب يومًا مع شريف باشا وهو محرج فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف باشا ماذا تصنع حينما تلم بك مُلمّة تريد أن تدفعها؟

فقال يا أفندينا إن الله عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عني.

(٢) «من أخلاق العلماء»، للشيخ محمد سليمان (ص ١٠٠ - ١٠٢) المطبعة السلفية ، القاهرة في ذي الحجة عام (**١٣٠٣** هـ) .

قـال: فكلم شيخ الأزهر وكان الشيخ العروسي، فجمع له من صلحاء العلماء جمعاً أخذوا يتلون في البخاري أمام القبلة القديمة من الأزهر . **قال:** ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى، فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إلى العلماء وقال لهم محنقا: إما أن هذا الذي تقرءونه ليس بصحيح البخاري ، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح؛ فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئا!

فوجم العلماء لذلك، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: "منك يا إسماعيل! فإنا روينا عن النبي أنه قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[٣].

وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم ينبسا بكلمة، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديوي ما قال؟ فقال: أنا . فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودّعونه وداع من لا يأملون أن يرجع.

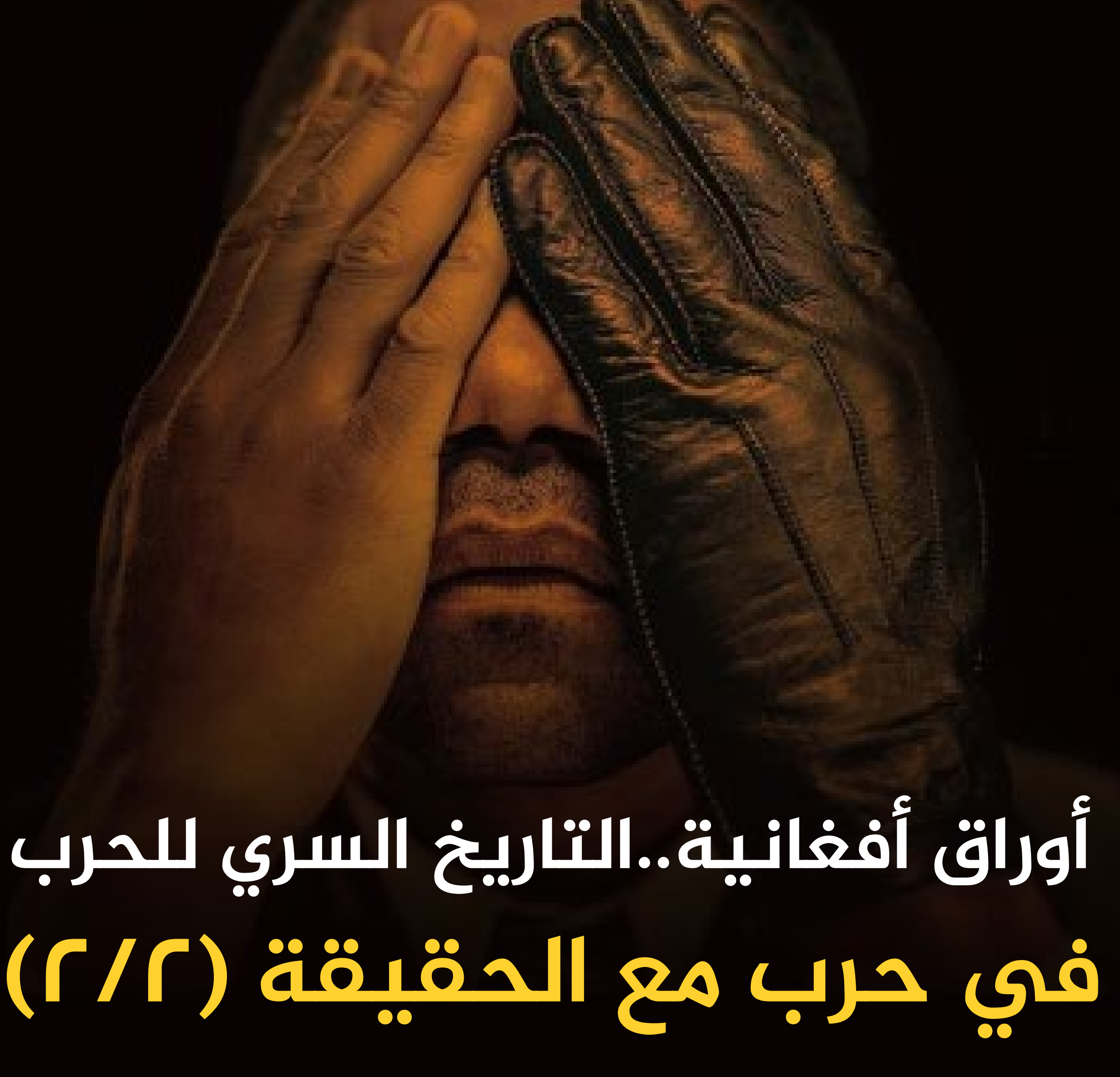
وسار شريف باشا بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوي قصره، فإذا به قاعد في البهو وأمامه كرسي أجلس عليه الشيخ، وقال: أعد يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر . فأعاد الشيخ كلمته وردد الحديث وشرحه؛ فقال له الخديوي: وماذا صنعنا حتى ينزل هذا البلاء؟

فقال له: «يا أفندينا أليست المحاكم المختلطة قد فُتحت بقانون يُبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحاً؟ . . . وعدّد له منكرات تجري بلا إنكار ، وقال: فكيف تنتظر النصر من السماء؟!».

فقال الخديوي: "وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدنيتهم؟ قال: «إذن فما ذنب البخاري وما حيلة العلماء؟». ففكر الخديوي مليًا وأطرق طويلاً ثم قال: "صدقت"[٤].

---

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٧٩) ، والبزار في المسند (٨٥١٠) من حديث أبي هريرة.
(٤) فتاوي كبار علماء الأزهر الشريف في تعظيم الشريعة وتحكيمها، مجموعة علماء، ص٤٥، ط: دار اليسر، القاهرة، ٢٠١٠م.



أوراق أفغانية..التاريخ السري للحرب

في حرب مع الحقيقة (٢/٢)

تحقيق حصري لصحيفة واشنطن بوست[١]

ترجمه لمجلة كلمة حق: حامد عبد العظيم

ماذا يقولون في العلن

١ ديسمبر ٢٠٠٩

"انتهى التوقيع على بياض، يجب أن يكون واضحاً أن الأفغان يتعين عليهم تحمل مسؤولية أمنهم، وأن أمريكا ليست لديها مصلحة في خوض حرب لا نهاية لها في أفغانستان".

الرئيس باراك أوباما، في خطاب ألقاه في الأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت، نيويورك.

---

[١] كاتب الاستقصاء هو الصحفي بواشنطن بوست: كريج ويتلوك. والاستقصاء منشور بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٩ . رابط الاستقصاء . وهو عبارة عن ستة أجزاء ومعهم ثلاثة مقالات إضافية، ونحن نترجم هنا وفي العدد السابق الجزء الأول من هذه الأجزاء، والذي بعنوان: في حرب من الحقيقة. [المترجم]

وعد كل من بوش وأوباما وترامب الجمهور بالشيء نفسه، لقد تجنبوا الوقوع في فخ "بناء الأمة" في أفغانستان.

لقد فشل الرؤساء فشلا ذريعاً، وخصصت الولايات المتحدة أكثر من **١٣٣** مليار دولار لبناء أفغانستان، أي أكثر مما خصصت للقضاء على التضخم، لإحياء أوروبا الغربية بأكملها بخطة مارشال بعد الحرب العالمية الثانية.

تُظهر مقابلات الدروس المستفادة أن مشروع بناء الأمة الفخم كان مشوهاً منذ البداية.

حاول المسؤولون الأمريكيون تشكيل حكومة ديمقراطية في كابول على غرار حكومتهم في واشنطن. لقد كان مفهومًا أجنبيًا على الأفغان الذين اعتادوا القبلية والملكية والشيوعية والشريعة الإسلامية.

"محاولتنا إنشاء حكومة مركزية قوية في أفغانستان كانت غبية؛ لأن أفغانستان لم تعرف في تاريخها مثل هذه الحكومة"، هذا ما صرح به مسؤول سابق في وزارة الخارجية أثناء مقابلة حكومية عام **٢٠١٥**. "الإطار الزمني لإنشاء حكومة مركزية قوية هو **١٠٠** سنة، وهي المدة التي لم تُتح لنا".

وفي الوقت نفسه، أغرقت الولايات المتحدة البلد الهش بمساعدات أكبر بكثير مما يمكن أن تستوعبها.

خلال ذروة القتال، في الفترة من **٢٠٠٩** إلى **٢٠١٢**، اعتقد المشرعون والقادة العسكريون الأمريكيون أنه كلما زاد إنفاقهم على المدارس والجسور والقنوات ومشاريع الأشغال المدنية الأخرى، تحسن الوضع الأمني بشكل أسرع. وقال عمال الإغاثة للقائمين على إجراء المقابلات الحكومية إن هذا كان سوء تقدير هائلاً، يشبه ضخ الكيروسين فقط لإبقاء الشعلة حية.

أحد المديرين التنفيذيين -لم يذكر اسمه- في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) خمن أن ٩٠ في المائة مما أنفقوه كان مبالغاً فيه: "لقد فقدنا الموضوعية. لقد حصلنا على المال، وقيل لنا أنفقوه، فأنفقناه دون سبب".

ألقى الكثير من عمال الإغاثة باللوم على الكونجرس لما عدوه اندفاعًا طائشًا في الإنفاق.



أخبر متعاقد مجهول المقابلات الحكومية أنه من المتوقع أن يخصص ٣ ملايين دولار يوميًا لمشاريع في منطقة أفغانية واحدة بحجم مقاطعة أمريكية تقريبًا. سأل ذات مرة أحد أعضاء الكونجرس الزائرين عما إذا كان بإمكان المشرع أن ينفق هذا النوع من المال بشكل مسؤول في الوطن قال "لا بحق الجحيم". "حسنًا، سيدي، هذا ما ألزمتنا به للتو، وأنا أفعل ذلك لمجتمعات تعيش في أكواخ من الطين بلا نوافذ".

كما أدى تداعيات المساعدات التي أنفقتها واشنطن على أفغانستان إلى ظهور مستويات تاريخية من الفساد.

في الأماكن العامة، أصر المسؤولون الأمريكيون على عدم تسامحهم مع الكسب غير المشروع. لكن في مقابلات "الدروس المستفادة"، اعترفوا بأن

الحكومة الأمريكية غضت الطرف بينما ينهب الأفغان حلفاء واشنطن ويفلتون من العقاب.

وقال كريستوفر كوليندا، عقيد في الجيش عمل في أفغانستان عدة مرات ونصح ثلاثة جنرالات أمريكيين مكلفين بالحرب، بأن الحكومة الأفغانية بقيادة الرئيس حامد كرزاي "متورطة في نظام حكم كليبتوري[١] " بحلول عام ٢٠٠٦ - وأن المسؤولين الأمريكيين فشلوا في الاعتراف بالتهديد المميت الذي تشكله لاستراتيجيتهم.

"أحب استخدام تشبيه السرطان"، قالت ذلك كولندا لمقابلات الحكومة. "الفساد الصغير يشبه سرطان الجلد، هناك طرق للتعامل معه، وربما يصبح الجلد على ما يرام. الفساد داخل الوزارات، المستوى الأعلى، يشبه سرطان القولون؛ الأمر أسوأ، ولكن إذا قضيت عليه في الوقت المناسب فأنت على الأرجح بخير. الكليبتوقراطية مثل سرطان الدماغ.. إنه قاتل."

•• من خلال السماح للفساد بالتفاقم، صرح المسؤولون الأمريكيون خلال المقابلات، أنهم ساعدوا على تدمير الشرعية الشعبية للحكومة الأفغانية المتهورة التي كانوا يقاتلون لدعمها. مع ابتزاز القضاة ورؤساء الشرطة والبيروقراطيين للناس وطلبهم للرشاوي، حنق الكثير من الأفغان على الديمقراطية وتوجهوا إلى طالبان لفرض النظام.

وقال كروكر، الذي عمل كأكبر دبلوماسي أمريكي في كابول في عام ٢٠٠٢ ومرة أخرى من عام ٢٠١١ إلى عام ٢٠١٢، في مقابلات مع الحكومة: "مشروعنا الوحيد والأكبر، للأسف وبشكل غير مقصود، بالطبع، ربما كان تطوير الفساد الشامل". وأضاف: "بمجرد أن يصل إلى المستوى الذي رأيته عندما كنت هناك، يصبح من الصعب جداً أو المستحيل معالجته".

---

(١) كليبتوقراطية: أي حكم اللصوص. المترجم



ما قالوا في العلن
٤ سبتمبر ٢٠١٣

”لقد كان الجيش والشرطة فعالين للغاية في القتال ضد المتمردين. وأعتقد أن هذه قصة مهمة يجب سردها في جميع المجالات“.

●● الفريق آنذاك، الجنرال مارك أ. ميلي، يمتدح قوات الأمن الأفغانية خلال مؤتمر صحفي من كابول. ميللي الآن جنرال أربع نجوم ورئيس هيئة الأركان المشتركة.

سنة بعد سنة، يقول الجنرالات الأمريكيون في العلن إنهم يحرزون تقدماً مطرداً في الهدف المركزي لاستراتيجيتهم: تدريب جيش أفغاني قوي وقوة شرطة وطنية يمكنها الدفاع عن البلاد دون مساعدة أجنبية.

في المقابلات، وصف المدربون العسكريون الأمريكيون قوات الأمن الأفغانية بأنها غير كفؤة وغير صادقة. كما اتهموا القادة الأفغان بتحصيل الرواتب التي يدفعها دافعو الضرائب الأمريكيون - لعشرات الآلاف من ”الجنود الأشباح“.

لم يعرب أي أحد عن ثقته في قدرة الجيش والشرطة الأفغانيين على صد طالبان. لقد قُتل أكثر من ٦٠،٠٠٠ من أفراد قوات الأمن الأفغانية، وهو معدل الخسائر الذي وصفه القادة الأمريكيون بأنه لا يمكن تحمله.

وقال جندي أمريكي لم تُحدد هويته إن فرق القوات الخاصة "كرهت" الشرطة الأفغانية التي تدربت على أيديهم وعملت معهم، ووصفوها بأنها بشعة وبأنها في قاع القاع.

قدّر ضابط عسكري أمريكي أن ثلث مجندي الشرطة كانوا "مدمنين على المخدرات أو من طالبان". وضابط أمريكي آخر قال إنهم "سارقون حمقى" ينهبون الكثير من الوقود من القواعد الأمريكية لدرجة أنك تشم منهم رائحة البنزين دائماً.

وقال مسؤول رفيع المستوى في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية لم يكشف عن هويته في مقابلات الحكومة: "التفكير في أننا يمكن أن نبني الجيش بالسرعة والجودة المطلوبَين كان أمراً جنونياً".

وفي الوقت نفسه، ومع فشل آمال الولايات المتحدة في إيجاد قوات أمن أفغانية بالشكل المطلوبة، أصبحت أفغانستان المصدر الرئيسي في العالم لكارثة متزايدة: الأفيون.

أنفقت الولايات المتحدة نحو **٩** مليارات دولار لمحاربة المشكلة على مدى السنوات الـ **١٨** الماضية، لكن المزارعين الأفغان يزرعون المزيد من خشخاش الأفيون أكثر من أي وقت مضى. في العام الماضي، كانت حظ أفغانستان **٨٢** في المائة من الإنتاج العالمي للأفيون، وفقًا لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة.

- في مقابلات الدروس المستفادة، قال مسؤولون سابقون إن كل ما فعلوه تقريبًا لتقييد زراعة الأفيون يأتي بنتائج عكسية.

قال دوجلاس لوت، قيصر الحرب الأفغانية في البيت الأبيض من عام **٢٠٠٧** إلى عام **٢٠١٣**: "لقد أعلنا بوضوح أن هدفنا هو إقامة "اقتصاد سوق مزدهر". "أعتقد أنه كان يتعين علينا أن نحدد فقط تجارة الأدوية، فهذا الجزء الوحيد المزدهر".



من البداية، لم تعرف واشنطن كيف تدمج حربها على المخدرات مع حربها ضد القاعدة. بحلول عام ٢٠٠٦، كان المسؤولون الأمريكيون يخشون أن يكون تجار المخدرات قد أصبحوا أقوى من الحكومة الأفغانية وأن الأموال المربَحة من تجارة المخدرات كانت هي التي تشعل التمرد.

لم تكن هناك أي وكالة أو دولة مسؤولة عن استراتيجية مكافحة المخدرات الأفغانية، لذا فإن وزارة الخارجية ووكالة مكافحة المخدرات والجيش الأمريكي وحلفاء الناتو والحكومة الأفغانية ظلوا يتدخلون باستمرار.

وقال مسؤول بريطاني كبير سابق لم تذكر اسمه مقابلات الحكومة: "لقد كان شيئاً فوضوياً للغاية بلا أي فرصة للعمل المنظم".

زادت الوكالات والحلفاء الأمور سوءًا من خلال تبني مجموعة مختلطة من البرامج، وفقًا للمقابلات.

"في البداية، كان البريطانيون يدفعون لمزارعي الخشخاش الأفغان لتدمير محاصيلهم، الأمر الذي شجعهم فقط على النمو أكثر في الموسم التالي. في وقت لاحق، قضت الحكومة الأمريكية على حقول الخشخاش دون تعويض، الأمر الذي أغضب المزارعين وشجعهم على الوقوف مع طالبان."

"لقد كان من المحزن أن نرى الكثير من الناس يتصرفون بغباء"، هذا ما قاله مسؤول أمريكي خلال مقابلات الحكومة.

الذي قالوه في العلن

٨ سبتمبر ٢٠٠٨

هل نخسر هذه الحرب؟ بالتأكيد مستحيل. هل يستطيع العدو الفوز بها؟ بالتأكيد مستحيل".

اللواء بالجيش الجنرال جيفري شلوسر ، قائد الفرقة ١٠١، في مؤتمر صحفي من أفغانستان.

شبح فيتنام يحوم حول أفغانستان منذ البداية.

في ١١ أكتوبر ٢٠٠١، أي بعد أيام قليلة من بدء الولايات المتحدة قصف طالبان، سأل أحد المراسلين بوش: "هل يمكنك تجنب الانجراف إلى مستنقع أفغاني يشبه فيتنام؟"

ردّ بوش بثقة: "لقد تعلمنا بعض الدروس المهمة للغاية في فيتنام". "كثيراً ما يسألني الناس إلى متى سيستمر هذا؟ ستستمر هذه المعركة إلى تقديم القاعدة إلى العدالة. قد يحدث غدًا، قد يحدث بعد شهر، وقد يستغرق عامًا أو عامين، لكننا سننتصر".

في تلك الأيام الأولى، سخر قادة أميركيون آخرون من فكرة أن كابوس فيتنام قد يعيد نفسه في أفغانستان.

قال رامسفيلد مازحاً في مؤتمر صحفي يوم ٢٧ نوفمبر ٢٠٠١: "نقول جميعاً معاً: مستنقع!"



لكن طوال الحرب الأفغانية، أظهرت الوثائق أن المسؤولين العسكريين الأمريكيين لجأوا إلى تكتيك قديم من حرب فيتنام: **التلاعب بالرأي العام**.

في المؤتمرات الصحفية وغيرها من التجمعات العامة، اتبع المسؤولون عن الحرب نفس طريقة الكلام منذ ١٨ عامًا، بغض النظر عن الطريقة التي تسير بها الحرب خاصة عندما تسير الأمور بشكل سيء يؤكدون على أنهم يحرزون تقدماً.

على سبيل المثال، تظهر بعض الكتابات التي أصدرها رامسفيلد مع مذكراته، أنه تلقى سلسلة من التحذيرات الرهيبة بشكل غير عادي من منطقة الحرب عام ٢٠٠٦.

- بعد عودته من مهمة لتقصي الحقائق إلى أفغانستان، أفاد باري مكافري، وهو جنرال متقاعد بالجيش، أن طالبان قد عادت بشكل مذهل وتوقع: "سنواجه بعض المفاجآت غير السارة في الأشهر الـ ٢٤ المقبلة".

وكتب ماكافري في يونيو/ حزيران ٢٠٠٦: "إن القيادة الوطنية الأفغانية مرعوبة جميعها من أننا سنخرج من أفغانستان في السنوات القليلة المقبلة تاركين الناتو يمسك بزمام الأمور - وأن الأمر سينهار برمته في الفوضى".

بعد ذلك بشهرين، أعطى مارين ستريميكي، مستشار مدني لرامسفيلد، لرئيس البنتاجون تقريراً سرياً مؤلفاً من ٤٠ صفحة ومزوداً بأخبار سيئة، فقال: "إن السخط الشعبي الهائل يتفاقم ضد الحكومة الأفغانية بسبب فسادها وعدم كفاءتها". كما قال: "إن طالبان أصبحت أقوى، بفضل دعم باكستان، حليفة أمريكا".

لكن بمباركة رامسفيلد الشخصية، دفن البنتاجون التحذيرات الكئيبة وأخبر الجمهور بقصة مختلفة تمامًا.

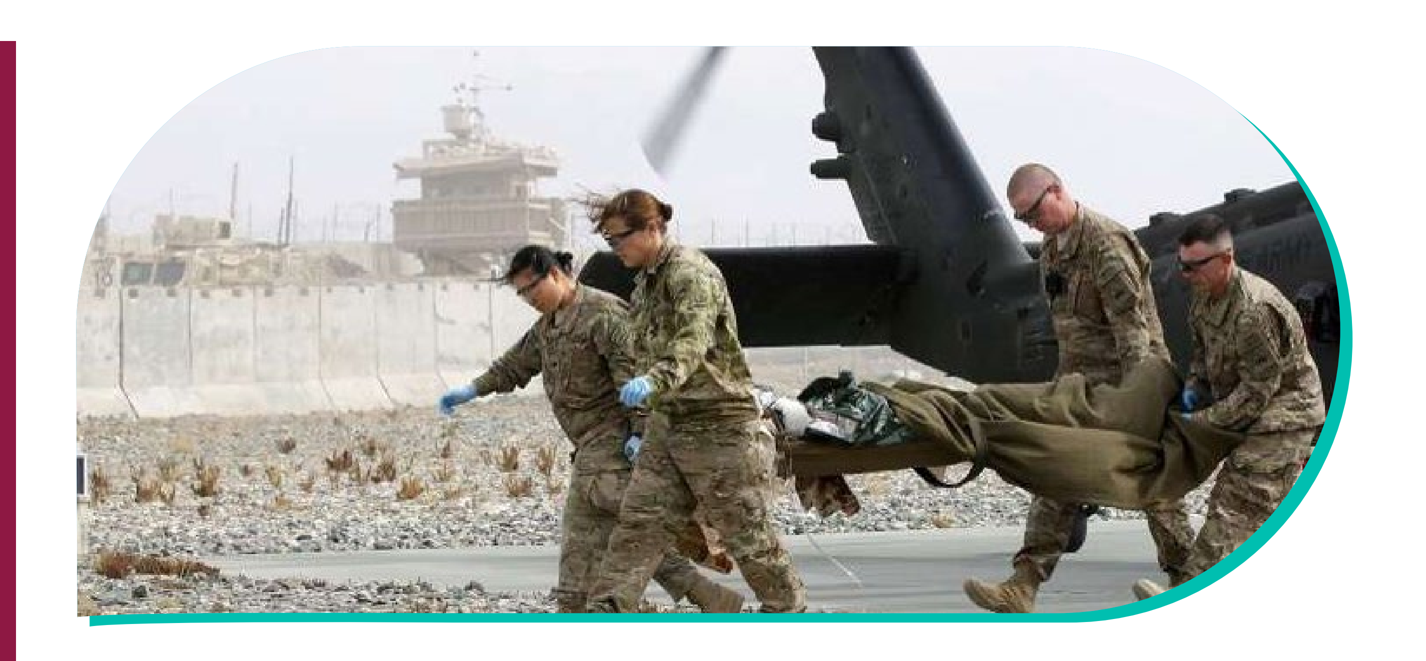
فـي أكتوبـر ٢٠٠٦، قـدّم كُتاب رامسفيلد ورقة بعنوان "أفغانستان: بعد خمس سنوات". كانت مليئة بالتفاؤل، وأبرزت أكثر من ٥٠ من الحقائق والأرقام الواعدة، من عدد النساء الأفغانيات اللائي دُربن على "تحسين إدارة الدواجن" (أكثر من ١٩٠٠٠) إلى "متوسط السرعة في معظم الطرق" (بزيادة ٣٠٠ بالمائة).

وقالت الورقة: "بعد مرور خمس سنوات، ظهر العديد من الأخبار الجيدة". "رغم المألوف في بعض الأوساط تسمية أفغانستان بأنها حرب منسية، أو القول بأن الولايات المتحدة فقدت تركيزها، فإن الحقائق تكذب الأساطير".

اعتقد رامسفيلد أن هذه الورقة كانت رائعة، "هذه الورقة" كما كتب في مذكرةٍ: "هي قطعة ممتازة، فكيف نستخدمها؟ أيكون مقالاً؟ أم قطعة افتتاحية؟ أم نشرة؟ أم مؤتمراً صحفياً؟ أم كل ما ورد سابقاً؟ أعتقد أنها يجب أن تصل إلى الكثير من الناس".

موظفو رامسفيلد حرصوا على التأكد من وصولها لأكبر قدر ممكن، فوزعوا نسخة على المراسلين ونشروها على مواقع البنتاجون الإلكترونية.

منذ ذلك الحين، كان الجنرالات الأمريكيون يقرون دائمًا أن الحرب تتقدم بشكل جيد، بغض النظر عن الواقع في ساحة المعركة.



قال الميجور جنرال جيفري شلوسر، قائد الفرقة ١٠١، للصحفيين في سبتمبر ٢٠٠٨: "إننا نحرز بعض التقدم بشكل مطرد". بينما كان هو والقادة الأمريكيون الآخرون في كابول يطلبون بشكل عاجل تعزيزات لمواجهة موجة هجوم متصاعدة من مقاتلي طالبان.

بعد ذلك بعامين، ومع ارتفاع معدل الإصابات بين قوات الولايات المتحدة وحلف الناتو إلى مستوى مرتفع، عقد الفريق ديفيد رودريجيز مؤتمراً صحفياً في كابول، وكان مما قال: **"أولاً: نحن نحرز تقدماً متأنياً بشكل ثابت".**

في مارس ٢٠١١ ، خلال جلسات استماع بالكونجرس، أمطر مشرعون متشككون الجنرال ديفيد بترايوس، قائد قوات الولايات المتحدة وحلف الناتو في أفغانستان، بوابل من الشكوك في كون الاستراتيجية الأمريكية ناجحة.

ورد بترايوس قائلاً: "شهدت الأشهر الثمانية الماضية تقدمًا مهمًا وصعب المنال".

بعد عام واحد، أثناء زيارة إلى أفغانستان، تمسك وزير الدفاع ليون بانيتا بنفس السيناريو، رغم أنه نجا شخصياً من هجوم انتحاري.

وقال بانيتا للصحفيين: "أعتقد أن الحملة، كما أشرت من قبل، قد حققت تقدماً ملحوظاً".

في يوليو ٢٠١٦، بعد تصاعد هجمات طالبان على المدن الكبرى، كرر الجنرال جون دبليو نيكولسون جونيور، قائد القوات الأمريكية في أفغانستان حينها، هذا الادعاء، وقال للصحفيين: "إننا نشهد بعض التقدم".

ما قالوا في العلن

٢٧ مارس ٢٠٠٩

"للمضي قدمًا، لن نواصل المسيرة عُمياً، بدلاً من ذلك، سنضع مقاييس واضحة لقياس التقدم المحرز ومحاسبة أنفسنا".

أوباما، في تصريحات من البيت الأبيض

خلال فيتنام، اعتمد القادة العسكريون الأمريكيون على قياسات مشكوك فيها لإقناع الأمريكيين بأنهم فازوا.

والأكثر شهرة، أن البنتاجون سلط الضوء على "إحصائيات الجثث" أو عدد مقاتلي العدو الذين قُتلوا، وتضخيم الأرقام كمقياس للنجاح.

في أفغانستان، مع استثناءات من حين لآخر، تجنب الجيش الأمريكي بشكل عام الإعلان عن إحصائيات القتلى. لكن مقابلات الدروس المستفادة تحتوي على اعترافات عديدة بأن الحكومة روّجت بشكل منتظم للإحصائيات التي وصفها مسؤولون بأنها مشوهة أو زائفة أو خاطئة.

قال شخص عُرفت هويته فقط كمسؤول بارز في مجلس الأمن القومي إن هناك ضغوطًا مستمرة من البيت الأبيض خلال عهد أوباما وكذلك البنتاجون،

لتقديم أرقام تظهر أن زيادة عدد القوات في الفترة من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١١ كانت ناجحة، على الرغم من الأدلة القوية على عكس ذلك.



"كان من المستحيل إنشاء مقاييس جيدة، لقد حاولنا استخدام أعداد القوات المدربة، ومستويات العنف، والسيطرة على الأراضي، ولم يقدم أي منها صورة دقيقة". هذا ما صرح به مسؤول كبير في مجلس الأمن القومي في مقابلة مع الحكومة عام ٢٠١٦، وأضاف: "لقد حدث تلاعب بالمقاييس دائمًا طوال فترة الحرب".

وقال المسؤول البارز في مجلس الأمن القومي: "حتى عندما يكون عدد الضحايا والآخرين سيئاً، فإن البيت الأبيض والبنتاجون يتلاعبان بالأعداد بشكل سخيف. صُورت التفجيرات الانتحارية في كابول على أنها علامة على يأس الطالبان وأن المتمردين كانوا أضعف من أن يشاركوا في القتال المباشر. وفي الوقت نفسه، استشهد بارتفاع عدد القتلى في صفوف القوات الأمريكية كدليل على أن القوات الأمريكية كانت تقاتل العدو بشراسة.

"لقد كانت تفسيراتهم"، قال ذلك المسؤول الكبير في مجلس الأمن القومي، وأضاف: "على سبيل المثال، الهجمات تزداد سوءًا؟ هذا بسبب وجود أهداف أكثر يستطيعون إطلاق النار عليها، وبالتالي المزيد من الهجمات مؤشر خاطئ على عدم الاستقرار. ثم، بعد ثلاثة أشهر، ما زالت الهجمات تزداد سوءًا؟ هذا لأن طالبان أصبحت يائسة، فهذا في الواقع مؤشر على أننا فزنا".

وقال أيضاً: "لقد استمر هذا الأمر لسببين، لجعل كل المعنيين يبدون في حالة جيدة، ولجعل الأمر وكأن القوات والموارد كان لها نوع تأثير بحيث إن إزالتها سيؤدي إلى تدهور البلاد".

في تقارير ميدانية أخرى أرسلت إلى القيادة، اتخذ الضباط العسكريون والدبلوماسيون نفس المنحى، بغض النظر عن الظروف على الأرض، زعموا أنهم يحققون تقدماً.

وقال مايكل فلين، وهو جنرال متقاعد من الجيش من فئة ثلاثة نجوم، لمقابلات الحكومة عام ٢٠١٥: "من السفراء وصولاً إلى المستوى المنخفض [يقولون جميعًا] نؤدي عملاً رائعاً. حقًا؟ فإذا كنا نؤدي عملاً رائعاً فلماذا يبدو الأمر وكأننا نخسر؟".

عند وصولهم إلى أفغانستان، كُلف قادة الجيش والكتائب بنفس المهمة الأساسية: حماية السكان وهزيمة العدو، وفقًا لما ذكره فلين، الذي خدم مرات متعددة في أفغانستان كضابط مخابرات.

وقال فلين، الذي خدم لفترة وجيزة كمستشار للأمن القومي لترامب: "فكلهم ذهبوا أياً كانت مدة خدمتهم تسعة أشهر أو ستة أشهر وكُلفوا بتلك المهمة، وقبلوها ونفذوها". وفقد فلين وظيفته في فترة وجيزة كمستشار لترامب بسبب فضيحة وأدين بالكذب على مكتب التحقيقات الفيدرالي.

يقول فلين: "ثم قالوا جميعًا، عندما غادروا، إنهم أنجزوا المهمة. جميع القادة قالوا ذلك، ولم يقل واحد منهم وهو يغادر أفغانستان: أتعرف؟ نحن لم ننجز مهمتنا".

وأضاف: "لذلك، عندما يأتي القائد التالي يجد الأوضاع محبطة، وهكذا يأتون ويذهبون، وضع هذا سيء للغاية". مايكل فلين، الدروس المستفادة، مقابلة **٢٠١٥/١١/١٠.**



قال بوب كراولي، العقيد المتقاعد بالجيش والذي عمل مستشارًا لمكافحة التمرد في أفغانستان عامي ٢٠١٣ و٢٠١٤ لمقابلات الحكومة إن "الحقيقة نادراً ما كانت موضع ترحيب" في المقر العسكري في كابول.

وقال: "كانت الأخبار السيئة تُكبَت في كثير من الأحيان". "كان هناك المزيد من الحرية لمشاركة الأخبار السيئة إذا كانت صغيرة - نحن ندهس الأطفال بمدرعاتنا لأنه يمكن تغيير هذه الأشياء بتوجيهات السياسة. لكن عندما حاولنا التعبير عن مخاوف استراتيجية أكبر حول استعداد أو قدرة أو فساد الحكومة الأفغانية، كان من الواضح أنها غير مرحب بها".

وقال جون جاروفانو، وهو استراتيجي في كلية الحرب البحرية والذي قدم مشورة لقوات المارينز في مقاطعة هلمند عام ٢٠١١: "إن المسؤولين العسكريين في هذا المجال كرسوا قدراً هائلاً من الموارد لإعداد مخططات ملونة تنبأت بنتائج إيجابية".

وقال لمقابلات الحكومة: "لقد كانت لديهم آلة باهظة الثمن بالفعل تطبع القطع الكبيرة من الورق كما هو الحال في المطبعة". "سيكون هناك تحذير أن هذه ليست شخصيات علمية في الواقع، أو أنه لا يوجد نهج علمي وراء ذلك".

لكن جاروفانو قال إن أحداً لم يجرؤ على التساؤل عما إذا كانت المخططات والأرقام موثوقة أو ذات معنى، وقال: "لم يكن هناك استعداد للإجابة على أسئلة مثل: ما معنى هذا العدد من المدارس التي بنيتها؟ كيف يسير بك هذا نحو هدفك؟ كيف تظهر هذا كدليل على النجاح وليس مجرد دليل على الجهد أو دليل على أداء بعمل جيد؟".

قال مسؤولون كبار آخرون إنهم يولون أهمية كبيرة لإحصائية واحدة على وجه الخصوص، وإن كان نادراً ما تحب الحكومة الأمريكية مناقشتها على الملأ.

وقال جيمس دوبينز، الدبلوماسي الأمريكي السابق، أمام لجنة في مجلس الشيوخ عام **٢٠٠٩**: "أعتقد أن المؤشر الرئيسي هو الذي اقترحته، وهو عدد الأفغان الذين يُقتلون". إذا انخفض العدد فأنت تفوز، إذا زاد فأنت تخسر، إنها بهذه السهولة".



في العام الماضي، قُتل **٣٨٠٤** مدنيًا أفغانيًا في الحرب، وفقًا للأمم المتحدة. هذا هو الأكثر في عام واحد منذ أن بدأت الأمم المتحدة في تعقب الخسائر البشرية منذ عقد مضى.

[انتهى الجزء الأول من السلسلة والذي هو بعنوان: في حرب مع الحقيقة. وقد ترجمناه في مقالين، في هذا العدد والعدد السابق من مجلة كلمة حق (المترجم)]

ترحب مجلة كلمة حق باستقبال مقالات القراء ، إذ تعمل هيئة التحرير على فرزها ونشر المتميز منها في كـل عدد جديد ، يُرجى إرسال المقالات على البريد التالـي Klmtuhaq@gmail.com

شروط المقال

(١) ألا يكون عاطفيا يخاطب الشعور بل عقلانيا وما أجمل لو يكون خلاصة علمية.

(٢) أن يكون في باب الثورة والمقاومة والكفاح، فذلك واجب الوقت.

(٣) أن يكون عمليًا مفيدا وأحسن ما يكون لو قدم إجابة على سؤال كيف نفعل كذا، أو في الموقف الفلاني ماذا ينبغي أن نفعل، وهو مجال واسع، يكتب فيه السياسي والاقتصادي والقانوني والإعلامي والشرعي الثورات الأمة بحاجة لخبرات في كل هذه المجالات

(٤) أن يكون مكتوبًا باسم صاحبه، لا باسم مجهول ولا بكنية، فلئن كان ثمة ما قد يعرقل نشر الاسم الظروف خاصة ، فيمكن للمجلة أن تحتفظ بالاسم دون نشره لرغبة صاحبه.



klmtuhaq



السنة الثالثة العدد ٣١ فبراير ٢٠٢٠

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم